جـــامعة غـــرداية

كليــة العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسـم التاريخ

أثر الإسلام على المدينة بالمغرب الأوسط

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة مـاستر أكـاديمي

مسار التاريخ تخصص : تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالب :

– الطيب قويدري

إشراف الأستاذة الدكتورة :

– أ/د يمينة بن صغير حضري

أعضـاء لجنـة المنـاقشة:

الرقم	إسـم و لقب الأستـاذ (ة)	الـدرجـة العلمـيـة	الجـامعـة	الصفة
01	أ.د/ العربي عقون	أستـاذ التعليم العالي	جامعـة غـرداية	رئيسـا
02	أ.د/ يمينة بن صغير حضري	أستـاذة التعليم العالي	جامعـة غـرداية	مشرفا ومقررا
03	د/ بوعروة بكير	أستـاذ محـاضر أ	جامعـة غـرداية	منـاقـشا

السنة الجامعية:

1442هـ–1443هـ/2020م–2021م

جـــامعة غـــرداية

كليــة العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسـم التاريخ

أثر الإسلام على المدينة بالمغرب الأوسط

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة مـاستر أكـاديمي

مسار التاريخ تخصص : تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالب :

– الطيب قويدري

إشراف الأستاذة الدكتورة :

– أ/د يمينة بن صغير حضري

أعضـاء لجنـة المنـاقشة:

الرقم	إسم و لقب الأستـاذ (ة)	الـدرجـة العلميـة	الجـامعـة	الصفة
01	أ.د/ العربي عقون	أستـاذ التعليم العالي	جامعـة غـرداية	رئيسـا
02	أ.د/ يمينة بن صغير حضري	أستـاذة التعليم العالي	جامعـة غـرداية	مشرفا ومقررا
03	د/ بوعروة بكير	أستـاذ محـاضر أ	جامعـة غـرداية	منـاقـشا

السنة الجامعية:

1442هـ–1443هـ/2020م–2021م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

إهـــــــداء

- الحمد لله رب العرش العظيم، والشكر لله العلي القدير، أن وفقني لإنجاز هذا العمل المتواضع، وأزكى الصلاة والسلام على صفيه، محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

- إلى أعز ما لدي في الوجود، إلى من أعلى الله منزلتهما، وربط طاعتهما بعبادته، إلى من لهما الفضل بعد الله عز وجل فيما وصلت إليه، والدي الكريمين حفظهما الله.

- إلى إخوتي و كل عائلتي كبيرا وصغيرا.

- أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى أستاذتي الفاضلة الأستاذة الدكتورة: بن صغير يمينة حضري لما قدمته لي من توجيه وإرشاد، ونصح لي من خلال إشرافها على تنظيم مجهوداتي ومعلوماتي، والتي لم تدخر جهدا في مدي العون لي ولم تبخل علي بعلمها في إثراء البحث وتقييمه وإفادتي بالتصويبات اللازمة.

- إلى أساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين أشرفوا على تلقيننا المادة العلمية في دراسة ما بعد التدرج.

- إلى كل أساتذتي الأفاضل وعلى رأسهم أساتذة كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية.

- إلى كل زملائي وزميلاتي على طريق العلم والمعرفة.

- إلى كل هؤلاء وأولئك .....أهدي ثمرة جهدي،

وألف شكر وسلام.

والحمد لله من قبل ومن بعد.

كلمة شكر وعرفان

بعد توفيق من الله عز وجل، ثم توجيه دقيق من الأستاذة الدكتورة: بن صغير حضري يمينة أنهيت هذا البحث، والذي لم ندخر جهدا في مد يد العون لي، ولم تبخل علي بعلمها في إثراء البحث وتقييمه، وإفادتي بالتصويبات اللازمة، فكانت نعم المشرفة، والموجهة، والمشجعة والمرافقة طيلة فترة إنجاز هذ البحث. فلا يسعني بعدها إلا الأن أتقدم بأسمى عبارات التقدير والإحترام، وكلمات الشكر والعرفان لها، ولكل من ساعدني في إنجاز هذا البحث.

كما أخص بالشكر والعرفان الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة، الذين سأهمو وتفضلو علي بقبولهم المشاركة في مناقشة هذا البحث، الشكر والتقدير إلى رئيس قسم التاريخ، على حسن تفهمه وتقديمه الدعم والتشجيع لي لإتمام هذا العمل، تحية خاصة إلى عميد الجامعة، الأساتذة الكرام، الذين ساهمو في تكويني خلال المسار الدراسي الجامعي للشهادة الماستر، وما بعده، وإلى كل من مد لي يد العون في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد.

ولله الحمد والمنة، تبارك اسمه ذو الجلال والإكرام.

قائمة المختصرات

Liste des abréviations	قـائـمـة المـختـصرات
ثانيا: باللغة الفرنسية:	**أولا: باللغة العربية:**
Op. cit: ……. Ouvrage précité	مج:..... مجلد
	د. س. ط:..... دون سنة طبع
	د. م. ن:..... دون مكان النشر
	تع:..... تعليق
	مر:..... مراجعة
	تح:..... تحقيق
	تق:..... تقديم
	د. م. ج:..... ديوان المطبوعات الجامعية

المقدمة

عرفت البشرية منذ العصور القديمة، تطورا وازدهارا حضاريا، حيث توصل الإنسان من خلاله، إلى أرقى إنجاز في استقراره على الأرض، ألا وهو انتشار المدن، إذ أن ظهور المدينة هو وليد الحضارة، وهي مركز إشعاع فكري، وأسلوب متقدم من أساليب الحياة، والمدينة الإسلامية بدورها لا تخرج عن هذا الإطار، فهي مجموع المظاهر المادية للحضارة الإسلامية التي تعبر عن طبيعة الفكر الإسلامي سواء بمبادئه العامة أو ما ظهر في جزئيات تطبيقه.

فالمدينة الإسلامية هي المكان الحضاري الذي يتم فيه التفاعل بين أفرادها وفق قيم مقدسة يحترمها الجميع، نابعة من مفاهيم مصدرها الرئيسي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لدى المجتمع، وعلى هذا الأساس نجد أن المدينة الإسلامية تعد انعكاسا لنظام عقائدي واجتماعي وثقافي، فنسيجها الحضري وتكوينها العام جاء نتيجة لتفاعل الإنسان مع بيئته الحضرية تحت مفهوم عام هو الإسلام.

ومن الملاحظ أن أغلبية المدن الإسلامية لم تنشأ في عصر صدر الإسلام من قبل المسلمين أنفسهم، الأمر الذي جسد لنا حقيقة تاريخية حضارية، تكمن في: أن التحول في الفكر، له دور في تغيير معالم المدينة، وتحويلها إلى طابعها الجديد المتأثر بالمنظومة المحلية. وهذا ماله علاقة مباشرة بالموضوع الذي سأحاول التوسع في عناصره ومحاوره. وهو موضوع دراستي الموسومة بـ:

أثر الإسلام على المدينة بالمغرب الأوسط.

تشمل حدود الدراسة للموضوع:

- 1 – الإطار المكاني: المغرب الأوسط

- 2 – الإطار الزماني: في العصر الوسيط. منذ الفتح الإسلامي إلى عهد الدولة الزيانية.

- 3 – أنه موضوع يختص بالبحث في المعالم المادية واللامادية للتراث الحضاري المرتبط بالمدينة الإسلامية بالمغرب الأوسط، والذي من معالمه: الجانب الاجتماعي، والثقافي والإقتصادي، والجانب المعماري بمختلف أصنافه ما ارتبط منه بالعمارة الدينية، أو الحربية، أو المدنية، هذا من جهة ومن جهة أخرى، فأن الموضوع يتناول إطارا زمانيا يتمثل في مرحلة التاريخ الوسيط من مراحل التاريخ العام، وإطارا مكانيا يشمل منطقة المغرب الأوسط، ولكن باعتبار ما كان وما سيكون في مسار سيرورة التمدن و معالمه: وما تعلق منها بالعمارة، أو التفاعل ، أو التواصل الحضاري بين عناصره

إيجابا أو سلبا، وما لعبته عملية الإسقاط للمقاصد الإنسانية الحضارية الدينية عبر الزمن على الحياة القبلية والحضرية، فإننا قد نعود أحيانا لحقب تاريخية قديمة.

– أسباب إختيار الموضوع:

تتمثل الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع في جملة من الدوافع، يتصدرها:

– الدافع الذاتي: والمتمثل في ميولي الخاص في حب السياحة والأسفار، والوقوف على المعالم الحضارية والأثرية، إذ وجدت في جوانب هذا الموضوع أنني أقوم بسياحة معنوية عبر الزمن الذي تشكلت فيه تلك المعالم والوقوف على الظروف المحيطة بها، من حيث تحقق لحالة استقرار، أم غياب لها، والبحث بالمقابل في الأسباب التي أدت إلى اختطاطها، و الشروط والضوابط التي روعيت عند تشييدها، وكل ماتعلق بهذا الجانب.

– الدافع الموضوعي: و المتمثل في:

– حالة الصراع الفكري الأيديولوجي الذي لاحظته شخصيا بين طبيعة ومرجعية الباحثين –(سواء كانو قدامى، أو مستحدثين)– من المبادئ و القيم التي تكونو ونشؤو وعملو عليها، و عاشو في وسطها الجغرافي وأثرت فيهم، وبالمقابل نجد تأثيرها على أعمالهم، ومثال ذلك ما نجده عند كثير من المستشرقين، إذ منهم من ينكر تماما وجود مدينة إسلامية ويبنون فكرهم على أسس معينة، ومن المفكرين من ينصف التاريخ و الموضوعية و يحاول أن يعطي كل حقيقة تاريخية حضارية حقها، ويقف على مسافة متساوية من الحدث ونتائجه، محاربا بذلك صفة الذاتية وتأثيرها على عمله ما استطاع لذلك سبيلا. من خلال إثارة مسألة وجود المدينة؟ ومسألة مالذي أضافه الإسلام للمدينة خاصة بالمغرب الأوسط؟

– الإشكالية:

يرتكز موضوع البحث على إشكالية محورية تتمثل فيما يلي:

– ظهور العمارة الإسلامية ومدى تأثيرها على المدينة بالمغرب الأوسط؟

تثير إشكالية البحث مجموعة من التساؤلات الفرعية والمتمثلة في:

– متى ظهرت العمارة الإسلامية؟، وكيف تجانست وتأثرت بالموروث الحضاري في شمال إفريقيا؟ بما في ذلك العمارة الأندلسية المغاربية (Andalo-maghrébine)؟.

– ماهي الجهود التي قام بها الفاتحون المسلمون في هذا المجال؟.

- ماهي مراحل تطور مدن بلاد المغرب الأوسط؟
- ما أثر الإسلام على الجانب الاجتماعي، والثقافي، والإقتصادي في المدينة الإسلامية؟
- ما هي خصائصها الفنية والمعمارية؟
- ماهي أبرز المنشآت المعمارية في بلاد المغرب الأوسط؟
- ما الإضافات التي أضافها الإسلام إلى المدن، و طريقة تخطيطها و وظائفها؟

عالجت هذه الإشكالية والأسئلة الفرعية المرتبطة بمعالجة الموضوع وفق خطة بحث تقوم على ثلاثة فصول، يتصدرها:

- فصل تمهيدي:

عنونته بالتعريف بالمدينة الإسلامية، تطرقت فيه إلى الخصائص والمقاصد التي تمت مراعتها عند اختطاط أي مدينة كمحور أول، ثم التطرق إلى انتشار الإسلام بالمغرب الأوسط وأبرز المحطات التي عرفتها العملية في محور ثان، ثم التطرق إلى مسألة اختطاط المدن والصفات والشروط والعوامل المتحكمة فيها، مثل العامل الجغرافي، والعسكري، والإقتصادي، والإجتماعي، والديني في محور ثالث.

- الفصل الأول:

تطرقت فيه إلى مراحل تطور المدينة الإسلامية بالمغرب الأوسط، من خلال جهود الفاتحين الأوائل في هذا المجال كمحور أول، ثم التطرق إلى ما عرفته المدينة الإسلامية من تطور في عهد الدولة الرستمية في محور ثان، وعهد الدولة الحمادية في محور ثالث، وعهد الدولة الزيانية في محور رابع.

- الفصل الثاني:

تناولت فيه إلى أثر الإسلام على الجانب الاجتماعي والثقافي بالمدينة بالمغرب الأوسط، حيث أشرت إلى تأثير الإسلام على المدينة في الجانب الاجتماعي في محور أول، ثم تأثيره على الجانب الثقافي في محور ثان، ثم تأثيره على الجانب الاقتصادي في المدينة ومختلف أنشطته في محور ثالث.

- الفصل الثالث:

تطرقت فيه إلى أثر الإسلام على الجوانب المعمارية بالمدينة في المغرب الأوسط، حيث اشرت فيه إلى كيفية اختطاط المدن بالمنطقة والشروط التي تمت مراعاتها في ذلك في محور أول، ثم التطرق إلى

أنواع المدن الإسلامية، وأبرز مظاهرها المعمارية في محور ثان، ثم التطرق إلى خصائص المدن الإسلامية في محور ثالث، ثم خاتمة للموضوع تضمنت ملخص للنتائج المتوصل إليها ليلحق البحث ملاحقة من ملاحق وقائمة للمصادر والمراجع وفهارس.

– أهمية الموضوع:

تتمثل أهمية الموضوع في أنه يسلط الضوء على مسألة أثارت اهتمام ذوي الشأن على اختلاف اختصاصاتهم، من مهندسين معماريين، ومهتمين بالشأن المعماري، وباحثين في حقول التاريخ بمختلف حقبه الزمنية، ومختلف توجهاتهم الفكرية والأيديولوجية، سواء على الصعيد العلمي، الفني والثقافي، الحضاري، الاجتماعي...وغيرها من المجالات، كما أنه يوضح ويقف على التطور الذي عرفته المدينة منذ تأسيسها، إلى المرحلة التي طبعت بملامح الحضارة الإسلامية، ويقف على الخصائص و المقاصد التي سعت المدينة إلى تحقيقها.

تسعى هذه الدراسة إلى إثارة هذا موضوع مدى تأثير الإسلام على مدن المغرب الأوسط، والبحث في تطورات هاته المدن التاريخية والحضارية، المعمارية والفنية، وما انعكس عنها في جوانب الحياة الأمنية بمدن المغرب الأوسط، بمختلف ما تحمله الكلمة من معان، البشرية الإجتماعية ومختلف الأنشطة الإقتصادية التي تمارس في مدن المغرب الأوسط، وهذا يتحقق من خلال الوقوف على الشروط والعوامل المختلفة لاختطاط المدن الإسلامية عامة، والمدينة الإسلامية بالمغرب الأوسط، كما توضح الخصائص التي تمتاز بها المدن الإسلامية بهذه الرقعة الجغرافية ودورها في تقديم الوظائف المختلفة التي يحتاجها ساكنيها، كما تكشف عن الجانب المقارن بين المدن التاريخية الأثرية القديمة بالمغرب، وما أضفاه الإسلام عليها من خصائص تهدف لخدمة الصالح العام من خلال معالمها المعمارية سواء كانت حربية أو دينية أو مدنية.

– المصادر والمراجع المعتمدة:

تطرقت مجموعة من المصادر و المراجع، من كتب التاريخ العام والجغرافيا، وكتب الرحالة لمجموعة من الجوانب لهذا الموضوع ومن أهم هذه المصادر:

–1 – كتب التاريخ العام:

– كتاب: "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (ت630هـ/1231م) والذي تناول تاريخ المشرق الإسلامي مع تخصيص جانب منه لأحداث تاريخية في المغرب الأوسط، وقد استفدت منه في مجال

الأحداث التاريخية التي خصت منطقة المغرب الأوسط خاصة مرحلة الفتوحات الإسلامية، وتأسيس مدينة القيروان ثم استمرار عملية الفتح تجاه بلاد المغرب الأوسط وصولا إلى المحيط الأطلسي، وقد اعتمدت على الأجزاء الأول والثالث.

– كتاب "سلوك المالك في تدبير الممالك"، لـ: شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع الذي أفادني في: أنه تناول بالتفصيل مسألة كيفية اختيار مواقع الأمصار والمدن، والشروط التي ينبغي مراعاتها عند اختطاط أي مدينة والحكمة من ذلك، والدوافع التي تحكمت في ذلك أيضا.

– كتاب: "ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، لـ: عبد الرحمان ابن خلدون "الجزء الأول"، الذي استفدت منه في: تفصيله للأحداث التي عرفتها منطقة المغرب العربي خاصة، وكذلك بعض الأحداث التي خصت منطقة المشرق، والتفصيل في جانب العمران البشري وما تعلق به، وفي القبائل والبطون التي شكلت بلاد المغرب الأوسط، والأحداث الي عرفتها المنطقة.

– كتاب: "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، لـ: ابن عذاري المراكشي (ت 712هـ/1312م)، الذي استفدت منه خاصة الجزء الرابع والخامس في: ذكره للأحداث التي خصت تاريخ المغرب والأندلس، وما تعلق بالأحداث التي ميزت تعاقب الدول التي عرفتها المنطقة.

– كتاب "تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك"، لـ: أبو الحسن علي الماوردي، الذي استفدت منه كثيرا في جانب حديثه عن فنون تخطيط المدينة ومعاييره الجمالية من خلال حديثه عن نظرية "تأسيس الملك وسياسته"، وكذلك فيما يخص حديثه عن مقاصد المدن التي ينبغي مراعاتها، وكذلك حديثه عن شروط العمارة في المدينة وفنون تخطيطها.

– 2 – كتب الجغرافيا والرحلات:

وهي متنوعة وقد استفدت منها كثيرا حيث شكلت وصفا حيا للمدن التي زارها هؤلاء الرحالة ومنها:

– كتاب "وصف إفريقيا"، لـ: حسن الوزان، "الجزء الأول"، والذي استفدت منه في: أنه قدم وصفا دقيقا لمدن المغرب الأوسط، ومختلف المرافق المعمارية التي كانت تلعب دورا متميزا في تلك الحقبة، وذلك المكان، وأشار أيضا إلى المراكز الثقافية بها ودورها في تنشيط الحياة العلمية بالمدن المغاربية.

- كتاب "البلدان" لليعقوبي (ت284هـ/897م)، واستفدت منه أيضا في مجال ذكر البعض من مدن وبلاد المغرب الأوسط ووصف معالمها ومراكزها، والحديث عن دورها وتفاعلاتها مع غيرها من الأقطار.

- كتاب "صورة الأرض" لابن حوقل (ت367هـ/977م)، إذ استفدت منه أيضا في المعارف المتعلقة بوصف أقاليم البلدان، وتركيزه على دور التجارة بالمغرب، واهتمامه بالجانب الاقتصادي باعتباره أحد أولئك التجار، وكذلك وصفه للعمران والمعمار على حد سواء لجميع مدن بلاد المغرب الأوسط.

- كتاب "المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب" وهو جزء من كتاب "المسالك والممالك" لأبو عبد الله البكري (ت487هـ/1094م)، ومنه قسم خاص بذكر المدن ببلاد المغرب، وقد استفدت منه في وصف مجموعة هامة من مدن المغرب الأوسط.

- كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، لأبو عبيد الله الشريف الإدريسي (ت548هـ/1154م)، وقد استفدت من جزئه الخاص بالمغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، الذي اهتم بذكر الطرق و المدن والمسافات بينهما ووصف معالمها وأنهارها، وكل ما تعلق بالحياة الاجتماعية والإقتصادية فيها.

- كتاب "الإستبصار في عجائب الأمصار"، لمؤلف مجهول من القرن السادس للهجرة، وقد استفدت منه في أنه يحتوي على معلومات هامة تخص ذكر المدن بالمغرب الأوسط وموقعها، ووصف ما اشتهرت به تلك المدن.

- 3 – المراجع :

أسهمت مجموعة من المراجع والدراسات السابقة في إثراء بحثي هذا، فهي لا تقل أهمية عن المصادر القديمة، ومن أهمها:

- كتاب "مدخل إلى الآثار الإسلامية"، لـ حسن باشا، والذي استفدت منه في: وصف الجوانب المعمارية المشيدة في المدن عامة، والمدن المغاربية خاصة، وأشار إلى خصائص الفن المعماري الإسلامي للمعالم المشيدة بالمدن بالمغرب الأوسط.

- كتاب "تاريخ المغرب العربي تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين"، لـ سعد زغلول عبد الحميد والذي استفدت منه في: في وصف المدن والحواضر المشيدة

ببلاد المغرب الأوسط، وعلاقاتها مع غيرها من مدن وحواضر المنطقة، وأبرز التطورات الي عرفتها المنطقة.

– كتاب "في الفنون الإسلامية"، لـ زكي مُحَمَّد حسن، والذي استفدت منه في: التعرف على أصول الفن الإسلامي وأبرز الروافد التي استقى منها مادته الفنية، ومقاصدها، والتي تجسدت في معالم المعمار من مساجد وقصور وغير ذلك، والبحث في خصائصها.

– كتاب "المدن المغربية"، لإسماعيل العربي، والذي استفدت منه في مجال ذكره للمدن المغربية في العصر الوسيط التي عرفها الجغرافيون العرب، حيث جمعها كلها في هذا الكتاب وتوسع في وصفها ووصف أهم معالمها.

– كتاب "الأوضاع الإقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرن (3-4هـ/9-10م)"، لـ جودت عبد الكريم يوسف، والذي استفدت منه في وسف بعض المنشآت العمرانية، وتناوله للجوانب الاجتماعية و الاقتصادية وتنظيمها بالمغرب الأوسط في تلك الفترة.

– 4 – المذكرات والدراسات السابقة:

– مذكرة ماجستير " المدينة بالمغرب الأوسط من خلال المصادر الأدبية خلال القرن الثالث والرابع الهجريين"، لـ بلمداني نوال حيث استفدت منها في مجال تناولها لمميزات ونشأة المدينة ودورها الحضاري والتاريخي، وكذلك تناولها للمنشآت العمرانية بالمغرب الأوسط.

– مذكرة ماجستير "التطور التاريخي للمدينة بالمغرب الأوسط من النصف الثاني من القرن الأول الهجري إلى القرن الخامس هجري"، لـ الطاهر الطويل، حيث استفدت منها في المعارف المتعلقة بنشأة المدن بالمغرب الأوسط.

– مذكرة ماجستير "العمارة الدفاعية في منطقة مزاب (نموذج قصر بني يزقن) (من القرن 10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م)"، لـ يحي بوراس، والتي استفدت منها في المعارف المتعلقة بالعمارة الدفاعية كالأسوار والأبراج، والقصور المتواجدة بمنطقة مزاب، ودور عمارتها في تحقيق الأمن للمنطقة.

– مذكرة ماجستير "مدينة تيهرت دراسة تاريخية وحضارية القرن (2-3هـ/ 8-9م)"، لـ فطيمة مطهري، حيث استفدت منها في المعارف المتعلقة بتاريخ مدينة تيهرت الرستمية سياسيا وحضاريا، وكذلك ما تعلق ببعض المنشآت في مدينة تيهرت.

– مذكرة ماجستير "الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين"، لـ مُحَّد الامين بلغيث، حيث استفدت منها في المعارف المتعلقة الربط وانتشارها بالمغرب الأوسط، والدور الذي قامت به دينيا وحضاريا وأمنيا.

– مذكرة ماجستير "بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع الهجريين"، لـ أمينة بوتشيش، والتي استفدت منها في المعارف المتعلقة بوصف مدينة بجاية، وأبرز قصورها وحماماتها وأسواقها كحاضرة من حواضر المغرب الأوسط.

– المنهج المتبع:

اعتمدت في معالجة هذا الموضوع على جملة من المناهج المتنوعة، منها: (المنهج التاريخي والوصفي، التحليلي، المقارن أحيانا، الإستدلالي)، إذ كيفتها حسب ما اقتضته طبيعة دراسة الموضوع، فكنت أحيانا أعتمد:

المنهج التاريخي عندما أتطرق إلى سرد الأحداث التاريخية خاصة ما تعلق منها بدخول الفاتحين لمنطقة المغرب عموما والمغرب الوسط خاصة، وما قامو به من أعمال وإنجازات لتثبيت عملية الفتح الإسلامي، وما تعلق منها بتوالي تأسيس الدويلات الإسلامية بالمنطقة وما عرفته من علاقات بينها وبين الحواضر المجاورة لها وما ميز تلك العلاقات من سلم أو حرب.

وأحيانا أستعمل المنهج الوصفي عندما أتطرق إلى وصف المعالم المعمارية التي خلفتها حواضر المدن عامة، والمدن بالمغرب الأوسط بصفة خاصة سواء كانت دينية أو حربية أو مدنية، وأشرك معه المنهج التحليلي عندما أسقط هذه المعالم والمواد التي بنيت بها على جغرافية منطقة المغرب الأوسط، وتأثير العوامل المناخية عليها من جهة، ومن جهة أخرى البحث في المقاصد التي هدف الإسلام إلى تحقيقاها من خلال ما اتصفت به العمارة المغاربية الإسلامية، من أشكال هندسية، وزخرفة فنية، وتأثيرها على الطابع الجمالي والفني، والجوانب الاجتماعية، الثقافية وكذا الاقتصادية والأمنية، وبالمقابل أستعين بالمنهج المقارن عندما أسقط معالم المدينة الإسلامية ونواتها الرئيسية بمدينة الرسول عليه الصلاة والسلام على بقيت المدن بالمغرب الأوسط، التي أنشئت بعدها، والوقوف على المقاصد المختلفة لإنشائها، والبحث في عوامل اختطاطها، والتي أنتجت لنا مدنا متنوعة بالمغرب الأوسط، من حيث شكلها، وطبيعتها.

وأحيانا أستعمل المنهج الإستدلالي عندما أسقط شروط وعوامل اختطاط المدن بالمغرب الأوسط، على رموز ومعالم العمارة المغاربية الإسلامية، والذي أستدل من خلاله على طبيعة علاقات الأفراد بعضهم بعضا، وبينهم وبين حكامهم، وبين المدينة وبقيت الحواضر المجاورة لها.

– دراسة نقدية للمصادر والمراجع والدراسات السابقة:

تناولت الدراسات السابقة بمختلف عناوينها، وصفاتها مصادر كانت منها أو مراجع، والمذكور أهمها أعلاه في العنصر ما قبل السابق لهذا، بما في ذلك الرسائل و المقالات العلمية... مجموعة من الجوانب المتعلقة بالجانب التاريخي، والجانب المعماري والحضاري، الإقتصادي والإجتماعي بالمناطق التي تمت دراستها .

وبعين الإنتقاد البناء لهذه الدراسات إجمالا، نجد أن هذه الدراسات جاءت مجردة من فلسفة التواصل والتفاعل الحضاري بين العناصر الفاعلة في حياة المدينة بالمغرب الأوسط ، وركزت على الجانب السردي للحقائق والأحداث التاريخية، والدول المتعاقبة التي تأسست بالمنطقة المغاربية، الأمر الذي نتج عنه مادة علمية اتصفت بالأسلوب السردي في الغالب، ومثالها المصادر الإخبارية مثلا، وكتب الرحالة.

إذ غلب عليها الأسلوب الوصفي والإخباري بما في ذلك وصف الجانب المعماري، إلا القليل من بعض المراجع المتأخرة، إذ غاب عنها الأسلوب التحليلي في الأغلب، وافتقرت إلى تسليط الضوء على دور العمارة كرسالة تحقق التواصل الحضاري العرفي، والعفوي، الهادئ بين حواضره، وما تركته تلك العمارة من صفات وخصائص تشكل هي بدورها أحد أبعاد ملامح الشخصية المحلية لساكنة منطقة المغرب الأوسط، ودورهم في إثراء وتطوير هذه المراكز المعمارية من حيث الطابع الجمالي الفني ، ومن حيث الوظائف والمقاصد التي أنشئت من أجلها، فالعمارة بمدن المغرب الأوسط أحد العناصر الأساسية لتثبيت الهوية بالمنطقة، ورسالة مادية للتواصل الحضاري بين الحواضر والبوادي الموجودة بالمنطقة بحكم أن المنطقة في البداية كان يطغى عليها الطابع القبلي، وتمازجت مع بعضها بمرور الزمن وتحولت من حياة القبيلة إلى حياة المدينة.

– الصعوبات:

تعرضت أثناء فترة إنجاز البحث إلى جملة من الصعوبات، وهي في الحقيقة صعوبات يتعرض أي باحث وشملت صعوبة التعامل مع بعض المصادر حيث أنها إفتقرت إلى التصنيف المنهجي الحديث

لأحداثها وفهارسها، إما من حيث الموضوع أو الإطار الزماني، وكذلك من حيث أسلوب لغتها خاصة مع الأخذ بعين الإعتبار زمن الكاتب المؤلف لها، وزمننا نحن كدارسين لها، وتأثير المدارس إن صح التعبير المنتمية لها. ومن الصعوبات أيضا عدم التفرغ المباشر لعمل المذكرة الأمر الذي نتج عنه بعض الإنقطاعات عن مواصلة العمل ومايتركه ذلك، من تأثير نفسي، وفني، تقني على الدارس للموضوع وعلى رتابة العمل. ولكن، -ومع كل ذلك- وبتوفيق من الله عز وجل أولا، وتوجيهات من الأستاذة الدكتورة المشرفة، وتشجيع منها ثانيا، استطعت التغلب على تلك الصعوبات، فجزاها الله عنا خيرا، وبارك فيها وفي أهلها، وسخرها الله تعالى لخدمة أشرف مهمة على وجه الأرض وهي خدمة البحث العلمي.

فصل تمهيدي:

التعريف بالمدينة الإسلامية

- أولا: العمارة الإسلامية في المدينة :

(تعريفها، خصائصها ومقاصدها).

- ثانيا: إنتشار الإسلام بالمغرب الأوسط.
- ثالثا: اختطاط المدن والعوامل المتحكمة فيه.

سنتطرق من خلال هذا الفصل إلى الإشارة إلى ظهور العمارة الإسلامية وتجانسها مع الموروث الحضاري بمنطقة شمال إفريقيا، ودور العمارة الأندلسية المغاربية(Andalo-maghrébine) في ذلك، انطلاقا من التعريف بالمدينة الإسلامية عن طريق التطرق إلى خصائص المدينة الإسلامية ومقاصدها في محور أول، ثم التطرق إلى تاريخ انتشار الإسلام والمدن الإسلامية بالمغرب الأوسط في محور ثان. ثم التطرق إلى العوامل المتحكمة في إنشاء المدينة الإسلامية في محور ثالث.

كانت النواة الأولى لتأسيس المدينة الإسلامية، هي باختطاط الرسول عليه الصلاة والسلام للمدينة المنورة، وبناء الجامع بها واختطاط مختلف القطع المخصصة للمرافق المصلحية، وما خصص منها لسكن القبائل والأعراش[1]، ومن هذه النواة كانت البداية لظهور فن العمارة الإسلامية وما دلت عليه من أن الدين الإسلامي حريص على مسألة اجتماع البشر، وتعاونهم وتكاتفهم، وبعدها بدأت عمارة المدن الإسلامية تتطور وتزدهر بتوسع حركة الفتوحات الإسلامية، ودور الدول التي تعاقبت بعد مرحلة الخلفاء الراشدين من الدولة الأموية والعباسية ومن تلتها...وصولا إلى بلاد المغرب والأندلس بعد ذلك من جهة، وتطور الحياة الإجتماعية وتلاقح أعراف وثقافات الأجناس التي دخلت إلى الإسلام من جهة أخرى، وإضافة تراثها وخصائصها الجغرافية والعمرانية والفنية الأمر الذي ولد نمطا جديدا وترك بصمة في تاريخ العمارة الإسلامية، والحضارة المدنية وما اختصت به من خلال الآثار المتنوعة التي خلفتها من جوامع وقصور وحدائق وساحات مهيأة وغيرها[2].

نتطرق بعدها إلى العوامل المتحكمة في إنشاء المدينة الإسلامية كمحور ثالث، والتي شملت كلا من العوامل الجغرافية والعسكرية ، والإقتصادية والإجتماعية والدينية.. وغيرها من الإعتبارات الأخرى. حيث أن اختطاط أي مدينة لابد أن يتم من خلال إعطاء العامل الجغرافي نصيبه من المزايا التي يمتاز بها موقعها عن غيره من المواقع الأخرى، من هواء نقي صاف، وتربة صالحة للبناء والنشاط ومناخ معتدل يساهم في حركية ساكنيها، ناهيك عن ضرورة تحقق أهم شرط: ألا وهو توفر المورد المائي[3]، سواء كان أنهار جارية وما شابهها أو مياها جوفية قريبة، إذ نجد أن الحضارات القديمة والمراكز الحضرية قامت على ضفاف الأودية، الأنهار، والسواحل، يلي ذلك مراعات عوامل أخرى كحصانة المنطقة،

[1] مُحَمَّد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، دار عالم المعرفة، ط 01، الكويت، 1988، ص 45

[2] عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة ،دط، ، الإسكندرية، 1999م، ص450.

[3] شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، تح عارف أحمد عبد الغني، دار كنان للطباعة و النشر والتوزيع، دط، دمشق، 1996، ص 106.

(تحقق الأمن من الخطر المتوقع من عدمه)، وتوفر الموارد الإقتصادية، دون إهمال دور العامل الإجتماعي والديني في تحقيق التكافل والمودة بين ساكنة المنطقة، إذ أن الإنسان بطبعه إجتماعي يعيش في وسط ملئه التعاون والتكافل والتكامل، وكلها سمات نصت عليها تعاليم الشريعة ومراكزها من خلال أول مركز بنى بالمدينة وهو الجامع (المسجد)، وتطور دورها عبر مختلف الأزمنة، والذي لعب الدور المحوري فيها[1].

– أولا: العمارة الإسلامية في المدينة: (تعريفها، خصائصها ومقاصدها).

إن ظهور العمارة الإسلامية في البداية إرتبط بما تم اختطاطه وبناءه من جوامع، وبيوت، وأسواق في مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام، بالمدينة المنورة، وما عرفته تلك الفنون على الرغم من بساطتها في البداية، واستعمالها لمواد محلية في البناء، من تطور وتجانس وتأثر بالموروث الحضاري للمناطق التي تم فتحها بعد الإسلام بما في ذلك منطقة شمال إفريقيا، ودور العمارة الأندلسية المغاربية(Andalo-maghrébine)في ذلك، إذ ساهم تنوع الموروث الحضاري في إضفاء لمسة إبداعية لهندسة معمارية تنوعت –حسب الثقافة السائدة في المنطقة وطبيعة الحياة فيها– معالمها من خلال ما تم بناؤه من جوامع، ومآذن وقباب وقصور وأسوار وقلاع وحمامات وحدائق وتهييئة لها...وغيرها من المعالم.

– 01 – التعريف بالمدينة الإسلامية:

المدينة الإسلامية هي المكان الحضاري الذي يتم فيه التفاعل بين الناس على وفق قيم مقدسة يحترمها الجميع نابعة المفاهيم المتمثلة بمصدريها الرئيسيين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لدى المجتمع، وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه و سلم) قوله: " لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا اضحى إلا في مصر جامع أو مدينة عظيمة..."[2]، وهذا ما يفسر لنا أن المدن والأمصار هي التي تتحقق بها صلاة الجمعة، وفيها السلطان يقيم الحدود، وقاض ينفذ الأحكام فقد وجدت المدينة الإسلامية في الإسلام دستورا واضحا كان عليها أن تطبقه، وكان السعي وراء توصيل أفكاره للعامة من مهمة الفقهاء والعلماء المفكرين الدينيين الذين حاولو ذلك وإن اختلفت مذاهبهم[3].

[1] مُحَّد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 45.

[2] نفسه، ص 47.

[3] عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص451.

– 02 – خصائص المدينة الإسلامية:

لقد تميزت المدينة الإسلامية بمجموعة من الخصائص، تمثلت في:

–1– التركيز على تخير المواقع البرية:

تختلف شبكة المدن الإسلامية عن سابقتها الرومانية في الإنتقال من المواقع الساحلية البحرية إلى المواقع الداخلية البرية، زيادة على أنه من أهم ما كان يراعى في اختيار مواقع المدن الإسلامية ألا يفصل بينها وبين دولة الخلافة فاصل مائي. في بداية الأمر ثم سرعان ما تغيرت النظرة بتوسع النظرة الإستراتيجية للعرب في إنشاء المدن وتغير قيمة مواضعها، من المدن ذات المواقع البرية إلى المدن ذات المواقع البحرية.[1]

–2– تأثير الدافع من إنشاء المدن على اختيار مواقعها:

قام المسلمون بتخير مواضع مدنهم، كي تحقق الدافع إلى إنشاء هذه المدن، وعليه كان العامل الحربي من أكثر العوامل تأثيرا على مواضع المدن، زيادة على عنصر وفرة أحجار البناء في المكان، وارتفاع الموضع الذي بنيت عليه المدينة فوق مستوى فيضان الأودية، مما يوفر الحماية من أخطار الفيضان، ويجعل تربتها جافة صالحة لدفن الموتى، كما أن وقوع المدينة على مقربة من الأراضي الصالحة للزراعة يسهل وصول المؤن و الأقوات إليها، إضافة إلى توسط مكان إنشاء المدينة للدولة الإسلامية قدر الإمكان، وبالمقابل تحقق كل هذه المزايا لذلك الموضع قيمته الحربية، كما لا يمكن إغفال عنصر آخر وهو أن كثيرا من المواضع في الدولة الإسلامية كان لها قداستها مما أدى إلى اختيارها كي تقوم فيها مدن ذات قداسة تؤدي الوظيفة الدينية[2].

–3– حجم المرافق و تعداد سكانها:

لا توجد إحصائيات دقيقة عن عدد سكان المدن، أو مساحتها أو عدد ما يوجد بها من مرافق، ولكن ما ورد من إحصائيات في كتابات الرحالة والجغرافيين المسلمين هي أرقام جزافية لا تخلو من المبالغة، ولكن ما ذكر من أرقام يعبر عن الإنطباعات التي تتركها أحجام المدن وما بها من مباني ومرافق، في نفس الرحالة والكاتب عند زيارة هذه المدن، ولو أنه بالرغم من عدم الدقة في تلك الأرقام إلا أننا يمكن الإسترشاد بها لمعرفة أحجام المدن ومدى ازدهارها، وكثيرا ما وصف حجم المدينة دون

[1] علي ابراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، مكتبة النهضة المصرية، دط، القاهرة، 1972، ص247.

[2] عبد الجبار ناجي، مفهوم العرب للمدينة الإسلامية، مجلة المدن العربية، نشر المنظمة العربية للمدن، العدد 14، 1984، ص52.

الإشارة إلى أية احصاءات، ويظهر من خلال كل هذا أن المدينة الإسلامية تميزت بالضخامة إذا ما قورنت بمدن العالم في تلك الفترة.[1]

-4- تميـز منشـآتها من خـلال:

- أ – المباني و الشوارع:

تطورت المباني في المدينة الإسلامية مع مراحل التطور التي شهدتها الدولة الإسلامية ففي بداية الأمر كان المجتمع الإسلامي الجديد يمنع المغالات والإسراف في المباني والتطاول فيها، فنجد أن عمر بن الخطاب ﷺ، كان ينصح بعدم المطاولة في البناء في الأمصار[2]، وكانت مساكن الخلفاء الراشدين مجرد حجرات قليلة لا تختلف عن سائر مساكن المسلمين إلا بما فيها من دواوين، وقد كانت مباني المدينة الإسلامية في الأقطار المفتوحة تشيد من الحجر أو الآجر، ولو أن بعض المدن كانت عند إنشائها متواضعة في مواد بنائها، وبالمقابل نجد أن البادية كانت المساكن فيها من الوبر، ولذلك سمي البدو بأهل الوبر، وسمي الحضر بال: " الحجر"، وهو تعبير عن مادة البناء المستخدمة في كل منهما.[3] وقد كانت مباني المدينة متقاربة وشوارعها ضيقة ومظلمة، وكثيرا ما كانت توقد فيها القناديل لأن ضوء الشمس يصل إليها بنسب قليلة نتيجة تطاول العمران بها، وكثيرا ما تصطف دكاكين الحرفيين على جوانبها، كما تظلل تلك الشوارع، ويستدل من قدرتهم على تسقيف الشوارع على أنها كانت ضيقة، ولا يخفى علينا ما ينبعث من هذه الشوارع من روائح تختلف باختلاف السلع التي تباع في محلاتها المتراصة على الجانبين، ومنها روائح التوابل التي تملاء جو المكان، وبالمقابل نجد من المدن من حاكت في تخطيطها التخطيط الإغريقي والروماني ذات الشوارع المتسعة[4].

- ب – تشييد الأسوار و القلاع:

أثرت العوامل المختلفة التي كانت وراء قيام المدن الإسلامية في عناصر المدينة الإسلامية وتخطيطها، وقد جعل العامل الحربي السور من أهم عناصر المدينة، إذ أن نشر الإسلام اقتضى قيام نقاط ارتكاز يتجمع فيها الجند وتنزل فيها الجاليات العربية الفاتحة، ولكي يتحقق هذا الهدف لزم أن

---

[1] آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: مُحَمَّد عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب العربي، ط 04، بيروت، 1697، ص 272.

[2] عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 03، القاهرة، 1973، ص 93.

[3] علي إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص 238.

[4] عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 457.

تكون المدينة الإسلامية محصنة يسهل الدفاع عنها والإنطلاق منها، فأحيطت بالأسوار المزودة بالبوابات الضخمة، وقد تصل الرغبة في زيادة تحصينها إلى حد إنشاء أكثر من سور فقد تحاط بسورين أو ثلاثة، وتزود الأسوار بالأبراج والشرفات والقلاع.[1]

كان السور من أهم عناصر المدينة الإسلامية في فترات الفتوح الإسلامية، ولكن بعد أن ثبتت الدولة الإسلامية أركانها وحلت فترات الإستقرار السياسي أرجاء الدولة الإسلامية، لم يعد السور من بين العناصر الرئيسية للمدينة، هذا وقد ألحقت بالمدينة الإسلامية الرباطات وهي نوع من المباني العسكرية والدينية، وقد أنشئت بكثرة في شمال افريقيا لصد محاولات الغزو البحري والأوروبي، ويشتغل المرابطون بحراسة الثغور من منارة الرباط إلى الأعمال اليومية حيث يؤمنون الطعام والشراب والسلاح للمقاتلين.[2]

- ج – مركزية المسجد:

كانت المدينة الإسلامية في نشأتها متأثرة بالطابع الديني لمدينة الرسول ﷺ، حيث يعد المسجد أهم عناصر المدينة، بل هو النواة التي تقوم المدينة من حوله، ويرجع ذلك للدور الذي يضطلع به المسجد، فهو مكان العبادة، ومعروف أن شعائر الإسلام تقام في جماعة، ولقد كان المسجد في أول الأمر مكانا تناقش فيه كل أمور المسلمين، فهو ندوة للنقاش السياسي ومجلس للقضاء، كما قام أيضا بدور المدرسة، و لهذا أصبح المسجد يعرف بالجامع. وأول مدينة كان المسجد يمثل نواتها هي المدينة المنورة، حيث كان المسلمون قبل الهجرة يصلون في شعاب مكة، أو في جانب للكعبة.[3] ولهذا لم يكن في أول الأمر في المدينة الإسلامية سوى مسجد كبير واحد تقام فيه الجماعة ويسمى بالمسجد الجامع، وإذا تتبعنا نشأة المدن الإسلامية لوجدناها جميعا نشأت من حول المسجد الجامع، فمدينة الرسول عليه الصلاة و السلام يتوسطها المسجد الذي يعد أهم معالم المدينة ونواتها. وكذلك الحرم المكي يتوسط مكة وهو نواتها وقلبها النابض، بل قلب العالم الإسلامي كله، وقد بلغ من اهتمام عقبة بن نافع بالمسجد الجامع عند إنشائه لمدينة القيروان الذي فاق اهتمامه به كل أحياء المدينة حتى قيل:

---

[1] ابن شاهين، زبدة كشف المماليك، تح: رافايسية، طبع باريس، 1894، ص 39.

[2] أنور الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والإجتماعية والاقتصادية والفنية، دار الفكر، دط، بيروت، 1973، ص 96.

[3] عبد المنعم ماجد، مرجع سابق، ص 96.

" لم يبن عقبة مدينة لها جامع بل بنى جامعا له مدينة"[1]. وقصد عقبة أن يكون الجامع قيروانا تؤدي فيه كثير من الوظائف، وقد كان المسجد من أول المعالم التي حرص المسلمون الفاتحون على وجودها في البلاد التي تم فتحها[2].

– د – الخانقاة:

كان في عهد الدولة الإسلامية العديد من الخانقاوات، ويذكر المقدسي أنه كان بالمغرب سبعمائة خانقاه، وكان للصوفية في خنقاواتهم مجالس ذكر، وقد سبق إنشاء الخنقاوات قيام المتصوفة على الذكر في بيوت صغيرة مخصصة لذلك تقام في ظاهر المدن، وقد كانت توجد أيضا في الرباطات التي استخدمت في أغراض حربية.[3]

– هـ – دار الإمـارة (قصـر الإمـارة):

صاحب انشاء المدن الإسلامية مجموعة من المعالم الهامة، ومنها إنشاء دار للإمارة، وكانت تواجه المسجد، ويحيط بها وبالمسجد مساكن الجند في كثير من الأحيان، وقد عرفت هذه المساكن باسم القطائع أو الحارات أو الخطط. وكان الهدف من إحاطة مساكن الجند لدار الإمارة تأمين حكام المسلمين وتحقيق الإستقرار لحكمهم، ولقد تدرجت دار الإمارة من البساطة في أول الأمر إلى الفخامة خصوصا حينما تعددت دول الإسلام وتنافس الحكام في البناء، وأصبح يعرف من دون المباني الأخرى بأسماء تدل عليه وتمييزه، وقد ألحقت بالقصور الحدائق التي تفنن المسلمون في زراعتها والتي أصبحت نمطا معروفا من الحدائق سميت بالحديقة الإسلامية، والتي كات تتميز بزروعها، ومن المعتقد أن الحديقة الإسلامية تأثرت بحدائق الشعوب المفتوحة من المصريين والفرس.[4]

إستطاع المسلمون أن يطورو هذه البساتين بطريقة جعلت البساتين في المدن الإسلامية يطلق عليها البساتين الإسلامية لما تميزت به من مزروعات وتنظيم لم يعرفه إلا العرب[5].

---

[1] أنور الرفاعي، مرجع سابق، ص 358.

[2] عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 508.

[3] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة بريل ليدن، ط 02، د.م.ط، 1906، ص 202.

[4] عبد المنعم ماجد، مرجع سابق، ص 101.

[5] مُحَمَّد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب العربية، دط، سوريا، 1963، ج 03، ص 123.

– و – مجـاورة السـوق للمسجـد:

لوقوع المسجد في وسط المدينة، فنجد غالبا ما أحيطت به الأسواق التي تحتاج إليها المدينة، وقد كانت معظم الأسواق مبلطة أو يبنى على جانبها إفريزان يمشي عليهما الناس في زمن الشتاء إذا لم يكن السوق مبلطا، وتغطى هذه الأسواق بالسقائف وبعضها يضاء ليلا ونهارا بالقناديل لأن الضوء لا يصل إلى داخلها، وقد كانت هناك أسواق متخصصة، كسوق العطارين، النحاسين وغيرها، وبالأسواق وكالات لبيع السجاد والذهب والفضة والحرير والأحجار الكريمة ولكل طائفة وكالة، وقد كان بالمدينة أسواق فرعية تسد احتياجات السكان اليومية.[1]

إعتاد المسلمون خلال العصور الوسطى أن يسكنوا في أماكن عملهم مما أدى إلى خلق نظام الطوائف الحرفية، فحول الأسواق امتدت الأزقة والشوارع التي تصطف على جانبيها دكاكين ذات واجهة مفتوحة تضم طوائف الصناع الذين يمارسون شتى الحرف كالنسيج، والحفر والطرق على النحاس، والمنطقة التي يتوسطها المسجد وما يحوطه من طوائف حرفية هي أكثر أجزاء المدينة حركة ونشاطا، وتماثل حي الأعمال المركزي في المدن الحديثة. ولقد كان لهذه الطوائف أثرها في إعطاء المدينة الإسلامية طابعا مميزا، كما كان تأثيرها على إدارة المدن ونظامها الإجتماعي[2]، حيث ظهرت شخصية المحتسب الذي كان رمزا لسلطة البلدية، وكان مستندا إلى القاعدة الدينية " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، فلقد كان يراقب الأسعار، ويفتش على الموازين والمكاييل ويراقب المخابز والمصانع والحمامات العامة، وكان هذا النظام معروفا في أسواق القاهرة وفاس وبغداد وغيرها من المدن الإسلامية. كما كانت الطوائف الحرفية تخضع لنظام اجتماعي وفكري ذي صلة وثيقة بالطرق الصوفية. ولم يكن في المدينة الإسلامية ثمة فاصل بين النشاط الديني والنشاط الدنيوي.[3]

– ز – الحمـامـات العـامـة:

تمثل الحمامات العامة أحد العناصر الهامة للمدينة الإسلامية، على الرغم من ان الحمامات ليست من ابتكار المسلمين ولكنها أخذت عن الشعوب التي سبقتهم، وكل ما حدث بعد الفتح الإسلامي أن أخذ الحمام الطابع الإسلامي، فأزيلت منه الصور والتماثيل، ولقد عرفت آداب أشبه ما تكون بتلك التي تتبع عند ارتياد حمامات السباحة في الوقت الحاضر فهناك آداب معينة في دخول

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، 1957 ص 83.

[2] مُحَمَّد علي دبوز، مرجع سابق، ص 135.

[3] يوسف أبيش، الحفاظ على المدينة التاريخية، مجلة رسالة اليونسكو، العدد 199، فبراير، 1978، ص 19.

الحمام، كما يمنع دخول ذوي الأمراض المعدية كالمجذوم والأبرص. وعلى هذا الأساس نجد أن الحمام كان من المرافق العامة التي اشتملت عليها المدينة الإسلامية.[1]

– 03 – مقـاصـد المـدينـة الإسـلامـيـة.

يمكن بداية القول بأن للفقه الإسلامي نظرة متميزة إلى قضية العمران باعتبارها قضية الاجتماع الإنساني، ويمكن ملاحظة هذه النظرة من خلال الأمور الآتية:

– 1– من حيث المساحة التي يعطيها: فإننا نلاحظ أن هذا الفقه يغطي كافة الجوانب اللازمة لحركة الإنسان والمجتمع والحياة في كل أوضاعها وأماكنها ودرجة العمران فيها، لأن العمران ليس مجرد إبداع هندسي أو تخطيط عمراني، وإنما بالإضافة إلى ذلك هناك عمران قيمي وأخلاقي، وهناك أحكام شرعية لأفعال إنسانية، وهناك قيم حضارية وتنمية مستدامة[2]، وهناك كافة مظاهر النشاط الاقتصادي من زراعة وصناعة وتجارة وتكنولوجيا ونظم معلومات وغير ذلك، وهناك أحكام شرعية لكل هذه المجالات، وللطريق أحكام وللسوق أحكام، والمدارس والمكتبات وكل مؤسسات الدولة، ولا عجب، فالشريعة رتبت أحكاما لكافة أحوال الإنسان وأوضاعه وجميع نواحي معاشه، حتى يستطيع القيام بوظيفة الإستخلاف والاستعمار في الأرض.[3]

– 2 – من حيث أن العمران المادي أو الأنماط العمرانية: هناك ضوابط تحكم العمران المادي من حيث أنه لا بد أن يتوافق مع العقيدة، والمستلزمات والروابط الاجتماعية والضوابط الشرعية والدواعي النظرية المرافقة لهذا الفن، فالفن المعماري والنسق التنظيمي في تخطيط المدن والشوارع والمرتفقات العامة (المرافق العامة)، وأماكن النفع العام، له كبير الأثر في بناء العلاقات الإنسانية، ومتانة النسيج الاجتماعي، وإشاعة الوحدة، وتعميق الأصول النفسية للتكامل الاجتماعي، مثل التعاون والتراحم وحسن الجوار، والإيثار، والإحسان ...وما إلى ذلك[4].

---

[1] عبد المنعم ماجد، مرجع سابق، ص 170.

[2] مُحَمَّد علي دبوز، مرجع سابق، ص 139.

[3] عمر عبيد حسنة، نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ط 01، قطر، 1405هـ، ص23.

[4] خالد مُحَمَّد مصطفى، جوانب مجهولة من فقه العمران في الحضارة الإسلامية، مجلة العمران و التقنيات الحضرية، العدد الأول، الجزائر، جامعة المسيلة، 2007، ص 81.

تتميز الأنماط العمرانية الإسلامية بأنها تتمحور في بنائها وواجهاتها وهندستها حول وجهة، أو بتعبير أدق نحو القبلة (المسجد الحرام)، كما أن الطراز الإسلامي في العمران كان مفتوحا إلى أعلى، ليمكن المسلم من النظر إلى السماء، هذه الفسحة السماوية لها مدلولات وإيحاءات في حس المسلم، وتوجهه في الدعاء إلى الله لطلب الغوث والخير[1].

– 3 – إن العمران لا يقصد به مجرد بناء أو مساحة من الأبنية فقط: وإنما هو بالإضافة إلى ذلك يعد أسلوب حياة يشمل الإنسان والأكوان ويعبر عن نمط معين في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية والأخلاقية، ويحقق تواصل الحضارات والتقاءها، ويحقق الحوار فيما بين الأمم وكذا التواصل والتعارف الإنساني، وهذا الفكر يجعل من العمران سبيلا لسعادة الإنسان وماهيته، أيا كان مذهبه أو دينه أو لونه أو جنسيته[2].

– 4 – من مقاصد العمران إظهار الجمال: فالجمال مطلوب في البناء والعمران، كما هو مطلوب في الثياب وغيرها، وجمال البناء يبدو في تناسقه وترتيبه حسب عرف الزمان والمكان ما دام أنه محمود في ذاته وغاياته.[3]

– 5 – من يقرأ في كتب فقه العمران يجد مقاصد الشريعة وقواعدها تتحرك في مجالات عديدة: خاصة فقه البيئة الذي كان يؤدي دوره في الواقع الاجتماعي، من خلال ولاية الحسبة بوجه خاص. ومثال ذلك أن المحافظة على المياه والرقابة على استعمالها كانت جزءا من عمل المحتسب الذي يمنع الدواب من الشرب من أماكن السكان، ويمنع النساء من أن يغسلن بالقرب من هذه المواضع، بالإضافة إلى ذلك كان المحتسب يقوم بمنع غش الدقيق وإفساد الطعام وتلويثه،[4] وإقرار نوعين من المسؤولية، الأولى: مسؤولية جنائية تتمثل في عدد من التعازير. والثانية: مسؤولية مدنية، بتعويض ما تم إفساده أي الضمان. وقد تصل الرقابة – في مجال الأسواق – إلى حد المصادرة أو

[1] إبراهيم البيومي غانم، الفنون في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط 01، بيروت، 1438هـ- 2017م، ص411.

[2] عمر عبيد حسنة، مرجع سابق، ص26.

[3] خالد مُحَمَّد مصطفى، مرجع سابق، ص 99.

[4] إبراهيم البيومي غانم، مرجع سابق، ص 411.

الإخراج من السوق، وقد كانت الأسواق محكومة بقواعد وآليات تحمي الصحة العامة، وتحمي البيئة، بل وتحمي حتى الدواب، بمنع تعذيبها[1].

أسهمت المقاصد العامة للشريعة، في تشكيل المعالم الكبرى لتلك الفنون والجماليات المعمارية، التي عرفتها المدينة الإسلامية، بدءا من صورها الأولية البسيطة عند نشأة المدينة أو المصر، وصولا إلى صورها المركبة والمعقدة، بعد أن يتكامل البنيان ويزدهر العمران. وقد تجلت هذه المقاصد بوضوح في التصميم الكلي أو الشامل للمدينة، كما تجلى أيضا في تصاميمها التفصيلية، فالأسوار والقلاع المحيطة بالمدينة تسهم في حفظ النفس، والمدارس تسهم في حفظ العقل[2]، والمساجد والجوامع تسهم في حفظ الدين، والأسواق والخانات تسهم في حفظ المال، والمساكن والدور تسهم في حفظ النسل والنفس معا، ومنشآت النظافة العامة كالحمامات تسهم في حفظ الصحة العامة والبيئة المدينية، وهكذا.[3]

أورد الماوردي النص على فنون تخطيط المدينة ومعاييرها الجمالية في كتابه تسهيل النظر وتعجيل الظفر، في سياق نظريته الكبرى بشأن " تأسيس الملك وسياسته ". وقد قرر أن تأسيس الملك يكون على الدين، أو على المال والثروة، أو على القوة. وذهب إلى أن " تأسيس الملك على الدين " هو أثبتها قاعدة، وأدومها مدة، وأخلصها طاعة. وإذا ما تأسس الملك على الدين، فإن سياسته بعد تأسيسه تشتمل على قواعد أربع وهي: " عمارة البلدان، وحراسة الرعية، وتدبير الجند، وتقدير الأموال"[4].

يقرر بعدها بأن مقاصد المدن خمسة أمور: أحدها: أن يستوطنها أهلها طلبا للسكون والدعة. والثاني: حفظ الأموال فيها من استهلاك وإضاعة. والثالث :صيانة الحريم والحرم من انتهاك وذلة. والرابع: التماس ما تدعو إليه الحاجة من متاع وصناعة. والخامس: التعرض للكسب وطلب المادة. فإن عدم فيها أحد هذه الأمور الخمسة، فليست من مواطن الاستقرار، وهي منزل قيعة ودمار[5].

تتمثل شروط عمارة المدينة وفنون تخطيطها في ستة شروط أو قواعد عامة وهي:

---

[1] مُحَمَّد المالقي، في آداب الحسبة، تح حسن الزين، مؤسسة دار الفكر الحديث، بيروت، لبنان، 1987، ص 213.

[2] شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع، مصدر سابق، ص117.

[3] نفسه، ص 105.

[4] على الماوردي (ت 450هـ)، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، تح محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية، دط، بيروت، د.س.ط، ص 264.

[5] نفسه، ص 266.

" أحدها: سعة المياه المستعذبة، والثاني: إمكان الميرة المستمدة، والثالث: اعتدال المكان الموافق للصحة والهواء والتربة. والرابع: قربه مما تدعو الحاجة إليه من المراعي والأحطاب، والخامس: تحصين منازله من الأعداء والذعار. والسادس: أن يحيط به سواد يعين أهله بمواده ". ثم يعقب على ذلك ويقول: " فإذا تكاملت هذه الشروط الستة في إنشاء مصر، استحكمت قواعد تأبيده، ولم يزل إلا بقضاء محتوم، وأجل معلوم ".[1]

يضيف الماوردي مجموعة المبادئ الكلية العامة التي تتعلق بأصول تدبير وإدارة شؤون المدينة، أو المصر الجامع، والتي تحدث عنها ابن أبي الربيع أيضا، ويرى أن على منشئ المصر في حقوق ساكنيه ثمانية أمور:

" أحدها: أن يسوق إليه ماء السارية إن بعدت أطرافه، إما في أنهار جارية، أو حياض سائلة، ليسهل الوقوف عليه من غير تعسف. والثاني: تقدير طرقه وشوارعه حتى تتناسب ولا تضيق بأهلها، فيستضر المار بها. والثالث: أن يبني جامعا للصلوات في وسطه ليقرب على جميع أهله، ويعمم شوارعه بمساجده. والرابع: أن يقدر أسواقه بحسب كفايته وفي مواضع حاجته. والخامس: أن يميز خطط أهله وساكنيه، ولا يجمع بين أضداد متنافرين، ولا بين أجناس مختلفين. والسادس: إن أراد الملك أن يستوطنه، سكن منه في أفسح أطرافه، وأطاف به جميع خواصه، ومن يكفيه من أمر أجناده، وفرق باقيهم في بقية أطرافه ليكفوه من جميع جهاته، وخص أهله بالعدل، وجعل وسطه لعوام أهله. والسابع: أن يحوطهم بسور إن تاخموا عدوا، أو خافوا اغتيالا. والثامن: أن ينقل إليه من أعمال أهل العلوم والصنائع ما يحتاج إليه حتى يكتفوا بهم، ويستغنوا عن غيرهم "[2]. فإذا قام منشئ المصر بهذه الالتزامات الثمانية " فقد أدى حق مستوطنيه، وصار أكمل الأمصار وطنا "[3].

يتبين من تلك المبادئ والقواعد العامة: أنها تقدم تصورا نظريا شاملا لما يجب أن يكون عليه عمران المدينة، ومقاصده كي تكون موطنا للاستقرار، ومقاما يحفظ لقاطنيه الكرامة، والحرية، والعدالة، والأمن والسلم العام[4]. وهذه كلها مصالح كبرى، ومقاصد شرعية عامة، وهي مقاصد ومصالح تنتظم الاجتماع السياسي الإسلامي بكل تكويناته وجماعته، كما أنها تسهم في تنظيمه وتدبيره في آن واحد،

[1] شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع، مصدر سابق، ص 106.

[2] على الماوردي (ت 450هـ)، مصدر سابق، ص 264.

[3] شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع، مصدر سابق، ص 107.

[4] إبراهيم البيومي غانم، مرجع سابق، ص401.

كما أن التقدم العمراني يفترض الاستقرار السياسي من جانب، وهو من جانب آخر يقود إلى ازدهار التجارة ونمو الأموال، فضلا عن تحقيق نوع من سيادة مبدأ العدالة بين الرعية، إلى جانب نمو مختلف الحرف والصناعات ورقيها بالمنطقة[1].

– ثانيا: إنتشار الإسلام بالمغرب الأوسط.

يعتبر الفتح الإسلامي لبلاد المغرب من الأحداث الكبرى والخالدة في تاريخ الإسلام في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري، لما ترتب عليه من نتائج حاسمة غيرت مجرى تاريخ هذه المنطقة وحددت معالم هويتها، ومنها انتشار الإسلام وتعريب المنطقة، وبالتالي حدوث عملية الاختلاط الكبرى بين العرب والبربر في بوتقة الإسلام وتحول بلاد المغرب إلى جزءٍ أساسي من العالم العربي الإسلامي. والمتأمل في تاريخ فتح المنطقة يلحظ أن فتح بلاد المغرب طال جدا (ثلثي قرن تقريبا)، عكس فتوح البلدان الاخرى التي تمت في وقت قصير (مصر 3 سنوات، إيران 4 سنوات، الأندلس 3 سنوات)[2]، و قد مرت عملية الفتح بمرحلتين :

– أ – المرحلة الأولى: (الحملات الإستطلاعية)

اعتبر المسلمون ولفترة طويلة شمال إفريقيا ثغرا وبلد حرب يوجهون إليه حملات خاطفة تكتفي بالتجوال، وجمع الغنائم ثم الإنسحاب إلى مصر، وقد بدأت بعد فتح مصر[3]، وأهم الحملات:

–1– فتح برقة و طرابلس (22– 23هـ)/ 643– 644م):

قادها عمرو بن العاص والي مصر، وحصل على جزية 13 ألف دينار، ووجه السرايا جنوبا وغربا نحو الفزان وجبل نفوسة، ثم انسحب بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب[4].

–2– حملة عبد الله بن أبي سرح على إفريقية: (27هـ/ 647م)

قاد حملة من عشرين ألف رجل وواجه إمبراطور إفريقية المستقل جرجير في سبيطلة، قرب القيروان الحالية فقتله، وتجول بالغارات في سهول إفريقية ثم عقد صلحا مع الروم للإنسحاب مقابل

[1] خالد محمد مصطفى، مرجع سابق، ص 83.

[2] حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، دط، الإسكندرية، د س ط، ص 106.

[3] أحمد البلاذري، فتوح البلدان، شركة طبع الكتب العربية، ط 01، القاهرة، 1319هـ-1901م، ص 235.

[4] ابن عذاري (ت695هـ-1295م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ج 01، ص 12.

أتاوة ضخمة (2.5 مليون دينار) بعد سنة وشهرين من الغزو، فعمله لم يكن سوى " حملة طويلة كثيرة الأحداث وافرة الغنيمة[1] "

-3- حملة عقبة بن نافع: (41هـ/ 662م)

توجهت من برقة إلى واحات غدامس وفزان وزويلة[2].

-4- حملة معاوية بن حديج: (45هـ/ 664م)

شارك فيها عشرة آلاف مقاتل وتجولت في سهل تونس ووصلت سوسة وجلولاء وبنزرت وجربة، وحصلت على غنائم كبيرة (نصيب الفارس في جلولاء 200 دينار)، وبعدما يقرب السنتين ترك البلاد وعاد إلى مصر[3]. هذا وينبغي الإشارة إلى أن الحملات الأولى كانت إستطلاعية ولم تهدف للإستقرار، بل للتعرف على المنطقة وإضعاف الروم والحصول على الغنائم[4].

- ب – المرحلة الثانية: (الفتح المنظم)

بدأت هذه المرحلة عندما فكر المسلمون في الإستقرار في المنطقة واتخاذ مقرات دائمة وثابتة، وبذلك أصبح الهدف إدخالها في أرض الإسلام[5]، وشملت الحملات التالية:

-1- حملة عقبة بن نافع الفهري الأولى والثانية: (50هـ/ 670م)، و(62-63هـ/ 681- 682م)

توجهت الحملة الأولى إلى شرق إفريقية كما فعل من سبقوه حيث جدد عملهم، لكنه عبر بوضوح عن رغبته في الإستقرار بالبلاد والإحتفاظ بالمكتسبات، **فبنى مدينة القيروان كأول مدينة إسلامية بإفريقية**، وقد غير بهذا التصرف مجرى الفتح، ووجه حملات واسعة في كل الإتجاهات خاصة

[1] إبن الأثير(555هـ-630هـ)، الكامل في التاريخ، تح أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط 01، بيروت، لبنان، 1407هـ-1978م، مج 03، ص 372.

[2] أحمد البلاذري، المصدر السابق، ص 236.

[3] إبن الأثير، المصدر السابق، مج 03، ص 320.

[4] حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 108.

[5] مُحَمَّد بن عميرة، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في كتابات المؤرخين الفرنسيين، الدار الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، د س ط، ص 101.

الجنوب، وهو في غمرة نشاطه ونشوته بالنصر استدعاه رئيسه والي مصر مسلمة بن مخلد وعزله سنة (55هـ/ 675م)[1].

إنتظر عقبة سبع سنوات قبل أن يعود إلى إفريقية بتكليف من يزيد بن معاوية بحماس أكبر وتحد أقوى ورغبة في توسع أكبر، فنظم حملته الثانية التي قادته إلى المغرب الأقصى عبر المغرب الأوسط (باغاية – الزاب – الشلف – تاهرت – طنجة – السوس)، فتجول في مناطق المغرب ووصل السوس الأقصى والمحيط الأطلسي[2]. وعند عودته منتشيا و معتقدا أنه قد ضم المغرب تمرد عليه كسيلة بن لمزم في تاهودة[3] ببلاد الزاب[4] وقتله سنة 63هـ. وبذلك ينجح في توصيل خبر الإسلام إلى أقصى مناطق الشمال الإفريقي، لكن المنطقة استقلت بعد موته تحت سلطة كسيلة الذي احتفظ بالإسلام، وهذا تطور مهم بالمقارنة مع المرات السابقة التي يتم فيها التراجع عنه[5].

-2- حملة أبي المهاجر دينار: (55-62هـ/ 675- 682م)

تولى إفريقية بعد عهد عقبة، وأرسل حملات في كل الإتجاهات انطلاقا من القيروان، لكن أهم ما قام به هو التوسع نحو المغرب الأوسط بمركزه تلمسان حيث كسب ود وحلف كسيلة الأوربي زعيم

---

[1] الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، تق وتح وتع محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ط 01، القاهرة، 1414هـ-1994م، ص 05.

[2] إبن الأثير، مصدر سابق، ج 03، ص 206.

[3] موضع في بلاد الزاب بالقرب من بسكرة، كما جاء في الروض المعطار ، للحميري ، أما ياقوت الحموي فيذكرها باسم تهوذة، وهو إسم لقبيلة بربرية كانت تسكن بإفريقية، وعرف المكان باسمها. ينظر عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، ط 02، مكتبة لبنان، 1984، ص 142، وينظر أيضا ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 02، دار صادر، بيروت، لبنان، ص 64. وينظر أيضا ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، ج 01، تح ج. س. كولان وليفي بروفنسال، ط 03، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983، ص 31.

[4] الزاب: مشتق من مدينة زابي (zabi)، وهي مدينة رومانية قديمة تقع في منطقة الحضنة الواقعة عند السفوح الجنوبية للأطلس يشمل سهول الحضنة ومدنها وهي مقرة وطبنة، ويحدده حسن الوزان بقوله: "يقع هذا الإقليم في وسط مفازات نوميديا، ويستدلي غربا من تخوم مسيلة ويحده شمالا جبال مملكة بجاية، ويمتد غربا إلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس وجنوبا إلى الطريق المؤدية إلى تقرت، وورقلة." ينظر حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج 01، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط 02، بيروت، 1989، ص 138. وينظر أيضا إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 142.

[5] إبن الأثير، مصدر سابق، ج 03، ص 206.

التحالف الزناتي بقيادة أوربة، والذي أسلم وصار صديقا له، وانتقل للإقامة معه في القيروان، وبهذا الفتح زاد خطوة أخرى بالإسلام نحو الغرب[1].

-3- حملة زهير بن قيس البلوي: (69هـ/ 689م)

كانت غايته الأولى الإنتقام لمقتل عقبة، فنجح في قتل كسيلة واستعاد القيروان، ثم انسحب نحو المشرق وقتل في اشتباك مع الروم في برقة، فعادت أرض المغرب للإستقلال من جديد تحت زعامة الكاهنة داهيا[2].

-4- حملة حسان بن النعمان: (76هـ/ 695- 696م)

توجه اهتمام حسان نحو القضاء على عناصر المقاومة من الروم والبربر وفك تحالفها وبناء علاقة المسلمين بالبربر على أساس من التحالف والولاء، فبدأ بفتح قرطاج ووزع الحملات في كل الإتجاهات، وواجه الكاهنة في الأوراس، فهزمته وطاردته حتى شرق طرابلس واستقلت بإفريقية[3]، وبعد انتظار حوالي ثلاث سنوات (78- 81هـ) عاد بقوة أكبر، وخطة أمتن فدخل قرطاج وهدمها ثم اصطدم بالكاهنة وقتلها وضم جزءا من رجالها حلفاء، ثم بنى مدينة تونس على الساحل المتوسطي قرب قرطاج عام (84هـ)، ومرة أخرى لم يترك للتمتع بنصره إذ عزله والي مصر عبد العزيز بن مروان[4].

-5- حملة موسى بن نصير: (85- 86هـ/ 705- 706م)

جاء لينهي عمل سابقيه فقام بحملة واسعة في كل الشمال الإفريقي، خاصة المغربين الأوسط والأقصى، وقضى على كل جيوب المقاومة[5]، وأرسل الغارات نحو صقلية وسردينيا، والواحات الصحراوية والأندلس، وبذلك أتم فتح المنطقة عن طريق القائد طارق بن زياد، وضمها إلى دولة الإسلام[6]. وبهذا فإن حركة الفتح طالت أكثر من اللازم، وذلك لأسباب ذاتية وموضوعية، ونجحت

[1] ابن عذاري مصدر سابق، ج 01، ص 16.
[2] إبن الأثير، المصدر السابق، ج 03، ص 208.
[3] ابن عذاري، المصدر السابق، ج 01، ص 21.
[4] إبن الأثير ، المصدر السابق، ص 415.
[5] أحمد البلاذري، المصدر السابق، ص 248.
[6] ابن عذاري مصدر سابق، ج 01، ص 28.

في الأخير في إدخال شمال إفريقيا في كنف الإسلام، وأصبحت هذه الرقعة الجغرافية تعرف بالمغرب الإسلامي، لتفسح المجال لنشاط الدعاة من كل المذاهب، وخاصة المعارضة للسلطة في المشرق[1].

– ثالثا: اختطاط المدن والعوامل المتحكمة فيه.

– 01 – اختطاط المدن وكيفيته:

اختلفت أسباب نشأة المدن خاصة تلك التي لم تكن حواضر للملك أو مراكز الإدارة، وتنوعت هذه الأسباب وارتبطت بعوامل كثيرة اقتصادية وحربية ودينية وغيرها، وكانت تبدأ بنواة عمرانية تتطور وتتشكل لتأخذ الملامح نفسها وإن اختلفت في بعض التفاصيل ارتباطا بالنشأة أو بالعوامل البيئية والمحلية. وكذلك الحال بالنسبة للمدن التي كانت قائمة قبل الإسلام وأصبحت تحت لواء دولته، فإنها بدأت تكيف نفسها وتتشكل هي الأخرى بهذا التشكل نفسه الذي طور نفسه مع متغيرات العصر من فترة إلى أخرى[2].

تطورت المدن الإسلامية وازدهر عمرانها، وحكم هذا التطور تلك الأسس التي قامت عليها هذه المدن، وبرز كثير من العوامل والظواهر التي أدت إلى هذا التطور، ونتج عنه الكثير من الشواهد العمرانية التي اتسمت بها المدن الإسلامية[3].

إتسع عمران بعض المدن الإسلامية اتساعا هائلا بفضل توافر المقومات الحضارية التي توفرت لها، ومن المؤشرات التي تدل على ذلك زيادة عدد سكان هذه المدن زيادة كبيرة وفي فترة وجيزة، وكان لسياسة الحكام الرامية إلى العمران أثرها الواضح في تطور هذه المدن وازدياد عمرانها، وتبلور كثير من النظم الإسلامية التي أدت بدورها إلى زيادة عمران المدن. ولا أدل على ذلك من ظهور المدارس كمؤسسات تعليمية، والخانقات والربط والزوايا كمراكز دينية، إذ ارتبطت نشأتها بالتصوف[4].

كان لظهور هذه المراكز في نهاية القرن الخامس الهجري وانتشارها في المدن الإسلامية، واهتمام الجهات الرسمية بإنشائها دعما لنشر المذهب السني، ووقف الأوقاف عليها أثره البالغ في تطور المدن

---

[1] محمود شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي، دار الفكر للطباعة و النشر، ط 07، 1404هـ- 1984م، ج 01، ص 245.

[2] شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع، مصدر سابق، ص 103.

[3] عبد الجبار ناجي، مرجع سابق، ص 54.

[4] إبن دقماق إبراهيم بن مُحَمَّد، الإنتصار لواسطة عقد الأمصار، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، دط، بيروت، د س ط، ص 36.

وازدياد عمرانه حتى نهاية العصر العثماني[1]. وقد لعبت الأوقاف دورا مهما في حياة المدن، وانتشرت انتشارا ملحوظا، حتى خصص لها ديوان يعرف بديوان الأحباس أو الأوقاف، وقد عرف الوقف كنظام منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكن أثره في عمران المدن الإسلامية أصبح واضحا بصفة خاصة مع بداية القرن السادس الهجري، واستمر بعد ذلك مؤثرا واضحا من المؤثرات التي دفعت إلى تطور عمران المدينة الإسلامية، وأثرت تأثيرا واضحا في تشكيل حياتها الإجتماعية والإقتصادية والثقافية[2].

يعتبر الوقف صدقة جارية من أموال الواقف في حياته ويستمر بقاؤها بعد مماته، تخصص لوجوه البر والخير كإعانة الفقراء، أو بناء مسجد، أو قيام مدرسة وما شابه ذلك شريطة بقائه واستمرار هذه الصدقة، وبذلك يكون تحقيق الخير هو الغرض الأساسي من عمل الواقف، وتضمنت أحكام الوقف مشروعية تنميتها واستثمارها بزيادة المباني الموقوفة عن طريق الشراء أو البناء[3].

تستلزم الأوقاف بهذا المعنى حركة عمرانية تشكل جانبا هاما من حركة العمران في مراكز الإستيطان ومن أهمها المدن، وقد أقر الإسلام مبدأ الوقف، وأوضح فقهاء المسلمين الأصول التي تتبع عند الوقف، وصنفو أنواعه، وحددو شروطه[4]، وظهر أثره في عمران المدينة الإسلامية باعتبارها حيز التطبيق لأوجه نشاطه المعمارية، هذا وتمثل الأوقاف جانبا تطوعيا في عمران المدن، عضد مجهودات الدولة في هذه الفترات من تاريخ العمران بالمدن الإسلامية، وشيوعها كظاهرة أصبحت تلعب دورا أساسيا في عمران تلك المدن[5].

إرتبط تطور عمران المدن الإسلامية أو انحساره بتغير الخريطة السياسية للعالم الإسلامي في العصور المختلفة، توحدا تحت راية خلافة إسلامية واحدة، ثم انقساما إلى ثلاث خلافات، ثم تمزقا إلى دول مشرقية ومغربية، وما صاحب ذلك من أحداث تعرضت لها أقاليم الدولة الإسلامية شرقا وغربا ممثلة في هجمات الصليبيين، ثم التتار، ثم هجمات المسيحيين على الأندلس التي انتهت بفقدها

[1] أنور الرفاعي، مرجع سابق، ص 98.

[2] عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مطبعة المعارف، ط 03، بغداد، د س ط، ص 80.

[3] إبراهيم الدبو، الضمان الاجتماعي في الإسلام، دار المناهج، ط 01، عمان، الأردن، 1417هـ-1998م، ص 104.

[4] عبد القادر النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، فهرسه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط 01، بيروت، 1410هـ-1990م، ج 03، ص 100.

[5] المقريزي، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، د د ن، طبعة بولاق، القاهرة، 2002، ج 02، ص 295.

وضياع أرضها[1]، وقد أثرت هذه الأحداث المختلفة في أفول نجم مدن، وانحسار العمران فيها لبعض الفترات، في الوقت الذي نشأت فيه وازدهرت بعض المدن الأخرى التي حالفتها ظروف سياسية واقتصادية ساعدت على ذلك[2].

طور عمران المدن الإسلامية تلك المشاركة التي أتاحها الحكام للعامة في تعمير المدن وتشجيعها، ويبدأ التمهيد لهذه المشاركة من جانب الحكام باختيار المواضع الصالحة لإنشاء المدن وفق مواصفات خاصة تشجع على الإقبال على هذه المدن وعمارتها من العامة، ثم في إقطاع العامة الإقطاعات لبدء الإنشاء والتعمير، ثم فيما اتبع في جمع القبيلة في مكان واحد حيث أن هذا الجمع دفع القبيلة إلى بذل قدر طاقتها لإعمار موضعها بمستوى يتناسب ومنزلتها، وقد أدى ذلك في النهاية إلى إعمار الخطة إعمارا متكاملا من جهة، وإلى منافسة الخطط الأخرى في ذلك من جهة أخرى[3]، فازداد عمران المدن وتعددت أرباضها، ويشجع هذه المشاركة، وإعمار المدن سياسة الإهتمام بإنشاء وتجهيز المرافق العامة التي توفر جهد العامة في توفير هذه المرافق، وتدعو إلى المنافسة على إعمار ما حولها رغبة في الإستفادة منها، وتوفر المرافق الأساسية من ماء عذب وأسواق ومساجد ودور قضاء وجسور وطرق وغير ذلك[4].

اتبع الحكام المسلمون أنضج أساليب إتاحة الفرصة لمشاركة العامة في عمران المدن من مساعدة في تنفيذ المشاريع الخاصة التي تعم فائدتها على المجتمع ككل، إستنادا إلى وقائع حدثت على عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، مع الحارث بن كلدة عند عزمه القيام بمشروع تربية الخيل على أرض البصرة، باعتبار أن الخيل مهمة في الحرب، فكتب إلى واليه على البصرة، المغيرة بن شعبة يخبره باستحسانه لمشروعه النافع و يقول له: " أعنه على زرعه وخيله، فإني أذنت له أن يزرع، وآته أرضه التي زرع، إلا أن تكون أرضا عليها الجزية من أرض الأعاجم، أو يصرف إليها ماء أرض عليها الجزية، ولا تعرض له إلا بخير والسلام[5].. ".

[1] عبد المنعم ماجد، مرجع سابق، ص 91.

[2] أنور الرفاعي، مرجع سابق، ص101.

[3] عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط 01، بيروت، لبنان، 2001، ص 161.

[4] خالد محمد مصطفى، مرجع سابق، ص 91.

[5] البلاذري ، مصدر سابق، ص 345.

امتدت سياسة مساعدة الرعية، بتوفير الخدمات التي تمكن الأشخاص من تحقيق الإنتاج وزراعة الأرض ومساعدتهم في ذلك بما يعود عليهم بالفائدة باعتبارهم جزءا من المجتمع، فتكاملت سياسة الإعمار تكاملا واضحا نشأ عن مراعات المجتمع وخدماته ومرافقه ككل، بالإضافة إلى معالجة الحالات الفردية من منظور خاص أيضا، فتطورت المدن الإسلامية وازداد عمرانها في فترات وجيزة إذا ما قيست بتطور غيرها من المدن[1].

– 02 – العوامل المتحكمة في اختطاط المدن:

(العامل الجغرافي – العسكري – الإقتصادي – الإجتماعي – الديني).

إن نشأة المدن تعود إلى عدة عوامل جغرافية، عسكرية، بشرية، سياسية، دينية وحتى اِقتصادية. وهي تشكل وحدة أساسية لقيام واختطاط المدن على مر الزمن. ويعتبر " ابن الربيع " كما ذكر أعلاه[2]، من الأوائل الذين تعرضوا لهذه المسألة، حيث ذكر ستة شروط ينبغي مراعاتها في اختيار موقع المدينة، ومنها طبعا نقوم بإسقطها على مسألة اختطاط المدن، ونستنتج منها العوامل المتحكمة في إنشائها[3]، وتشمل هذه العوامل ما يلي:

– 1 – العامل الجغرافي:

يعتبر العامل الجغرافي عاملا مهما في اِختيار مواقع المدن وفي دورها الذي تقوم به ونوعية النشاطات التي تؤديها وإمكانية توسعها المستقبلي. وعلى هذا الأساس تتوزع المدن بصورة غير متكافئة جغرافيا متأثرة بالمقومات الأساسية لقيام المدن، وتشمل المقومات الطبيعية كالتضاريس، وطبيعة الأرض، والهواء (المناخ)، والموارد المائية ومختلف الأنشطة الإقتصادية المرتبطة بهم. إذ يعتبر هذا العامل عنصرا رئيسيا لقيام واختطاط المدن[4].

– 2 – العامل العسكري:

يضاف إلى العامل الجغرافي عامل آخر مرتبط بتحقيق الأمن والإستقرار في المدينة، إذ من جملة العوامل التي تمت مراعاتها في اختطاط المدن مسألة تحصين المدينة من عدمها، ولا يتحقق ذلك إلا

---

[1] عبد الجبار ناجي، مرجع سابق، ص 159.

[2] أنظر: الشروط الستة التي ذكرها ابن الربيع أعلاه، في عنصر مقاصد المدينة الإسلامية، ص 27 أعلاه.

[3] شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع، مصدر سابق، ص 106.

[4] القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، د.ط، بيروت، د س ط، ص 8.

من خلال اختيار موقع المدينة كأن يكون في مكان عال يتم من خلاله كشف خطر العدو، سواء كانت المدينة في منطقة داخلية كـ: مدينة قسنطينة (سرتا) قديما، أو كانت مدينة على الساحل البحري كبجاية وتنس مثلا[1]، فعامل الإرتفاع من جهة، وإطلالها على الساحل يعطي المدينة حماية إضافية من أي خطر محتمل، كما نجد أن الفاتحين الأوائل ساهمو في اختطاط مدن حربية محصنة، تتخذ كقاعدة قريبة من المناطق التي تم فتحها بهدف بسط السيطرة والطمأنينة لدى ساكنيها تحسبا لأي خطر خارجي محتمل، واتخاذها كقاعدة جديدة إضافية للقواعد السابقة، ومثال ذلك مدينة القيروان، ومدينة بجاية، خاصة مع الطابع العام للدولة القائمة[2].

3 – العامل الإقتصادي:

زيادة على العوامل السالفة الذكر فمن جملة العوامل التي تمت مراعاتها في مسألة اختطاط المدن وفرة الموارد الإقتصادية الأساسية المطلوبة لاحتياجات ساكنة المنطقة والتي ترتبط من جهة أخرى بالعامل الجغرافي والمتعلق بوفرة مورد المياه، فحيثما كان الماء متوفرا كانت الحياة، وكانت حركية النشاط الإقتصادي، والتي عادة ما ترتبط بالنشاط العام والمتنوع للساكنة، وهو الشرط الرابع الذي ذكره كل من ابن الربيع، والعلامة ابن خلدون: " والرابع: قربُه مما تدعو الحاجة إليه من المراعي والأحطاب "، وبحكم أن أول نشاط عرفه الإنسان كان هو الرعي والصيد، ثم بعدها خدمة الأرض، أي النشاط الفلاحي، وظهور الأنشطة الإقتصادية الأخرى لاحقا مثل الصناعة والحرف، والتجارة والخدمات المرفقية الأخرى. دون أن نهمل عاملا مهما للنشاط الإقتصادي، والمرتبط بطرق المواصلات ووسائل النقل المعروفة في تلك الفترة الزمنية، ودورها في توسع وازدهار المدن الإسلامية[3].

تقوم ظاهرة تأسيس المدن الجديدة في بلاد المغرب الأوسط في الغالب على حساب مدن أخرى فقدت أهميتها الإقتصادية لأسباب سياسية، وبالتالي انعكس ذلك على نشاطها الإقتصادي ، فمثلا تيهرت كانت مركزا تجاريا وزراعيا ورعويا مهما في القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، لكن عندما فقدت مكانتها السياسية بعد انتهاء الإمارة الرستمية على يد الفاطميين، تراجعت مكانتها

[1] عبد الجبار ناجي، مرجع سابق، ص 157.

[2] محمود شيت خطاب، مرجع سابق، ص 247.

[3] شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع، مصدر سابق، ص 106.

الإقتصادية، وخاصة التجارية منها، فانتقل النشاط الإقتصادي إلى مدن أخرى مثل المسيلة وأشير[1]. حيث تم إنشاء مدينة المسيلة في المغرب الأوسط عام (313هـ/925م)، وأشير في عام (334هـ/945م)، واللتان لعبتا دورا مهما في النشاط التجاري[2].

وبالمثل نجد أن المهدية شهدت مصيرا مماثلا، إذ كانت كثيرة التجارة، إلا أن أحوالها قد اختلفت بعد ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الزناتي، فانتقل أكثر أهلها إلى مدينة المنصورية، وهذا يعني أنه كان للعامل السياسي آثارا سلبية على النشاط التجاري مثلما له آثار إيجابية[3].

كما نجد عنصرا آخر وهو دور الطرق البرية بالنسبة للمدن في تنشيط وتطوير حركية المدن وتطوير نشاطها الإقتصادي من خلال وقوعها على محور الطرق التجارية، ومثالها الطريق التجاري الساحلى الذي يمر على مجموعة من مدن المغرب الأدنى (من برقة وأجدابيا مرورا بالقيروان ثم طرابلس وصبرة وقابس وصفاقس ومنها إلى المهدية ثم سوسة وتونس ثم إلى طبرقة مرورا بباجة ليصل في النهاية إلى جزائر بني مزغنة، ومنها يواصل الطريق الساحلي مسيره باتجاه المدن الساحلية في إقليم المغرب الأوسط والأقصى، فيجتاز تنس ووهران وواسلن ثم أرشكول ونكور، إلى أن يصل إلى سبتة وطنجة في المغرب الأقصى، ومنها ينعطف الطريق إلى مناطق المغرب الأقصى الساحلية والداخلية[4].

لقد كان لطرق المواصلات وانتشار الأسواق دور في تنشيط الحركة التجارية في المدن، إذ كان للثروة المتنوعة بين المنتوج الفلاحي والصناعي، أثرها الواضح في تفعيل الحركة التجارية الداخلية، فمدينة تيهرت اشتهرت بتربية الماشية، فالأغنام كانت تجلب منها إلى سائر مدن المغرب لرخصها وطيب لحومها، وربما كان ينقل منها إلى مدينة القيروان[5].

4 – العامل البشري و الإجتماعي:

زيادة على العوامل السالفة الذكر نجد أن العامل البشري والإجتماعي له دور أساسي في مسألة اختطاط المدن، وحاجة الأفراد لبعضهم بعض من جهة، وارتفاع تعداد الساكنة من جهة أخرى سواء

---

[1] تقع أشير إلى الجنوب الشرقي من مدينة قصر البخاري في جبال التيطري، وقد تعرف الباحثون على ثلاثة مواقع أثرية متقاربة منها منزه بنت السلطان الذي كان به قصر زيري الذي بني عام 324هـ/935م. ينظر
Marçais Georges, Recherche d'archéologie musulmane (Achir), Revue Africaine,1922, p 38

[2] عبد الجبار ناجي، مرجع سابق، ص 154.

[3] أنور الرفاعي، مرجع سابق، ص 118.

[4] إبن عبد المنعم الحميري، مصدر سابق، ص 163

[5] عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص 156.

بعامل طبيعي للزيادة، أو بعامل خارجي (غير طبيعي لها)، إذ أن الإسلام اعتبر " الهيئة الإجتماعية " المستوطنة وساعد على إبرازها[1]، وتعكس ذلك آراء الفقهاء بعدم إجازة الصلواة الجامعة إلا في الأمصار، واتفق الفقهاء على أن المصر هو " وطن مجتمع المنازل "، والمدينة تمثل ذلك بصورة واضحة[2].

كما يندرج ضمن العامل الإجتماعي البشري الهجرة، حيث تلعب الهجرة دورا أساسيا في نشوء المدن وتطورها لأنها تشكل عامل جذب للسكان، نظراً لوجود الخدمات، وحركية الأنشطة الإقتصادية، وتعدد فرص العمل فتتركز أهمية هذا العامل على قدرة المدينة على استيعاب الوافدين الجدد، وقدرتها على تهيئتهم للحياة الحضرية وبالتالي قدرتها على الحفاظ على الهوية الثقافية للمدينة من خلال تطبيعهم على الحياة الحضرية أو المدنية بتزويدهم أو تدريبهم بالقدرة على تقبل القيم الحضرية، بدلا من القيم الأصلية للمهاجرين الأمر الذي يتيح لهم التعايش والتفاعل الاجتماعي الايجابي داخل المدينة[3].

بالمقابل يكشف " قدامة بن جعفر عن جانب آخر من المعايير التي تبين السبب في نشأة المدن، والتي تعتبر من سماتها الأساسية فيقول: " لما كان ما قلنا أفعال النفس المميزة، وتصاريفها كثيرة مختلفة، وحاجة الإنسان بسببها وبسبب الجسم الذي لم يكن للنفس في هذا العالم بد منه، واسعة منتشرة، وتبعت هذه الأحوال والصناعات والمهن فصارت على حسبها في الكثرة، ولم يكن في وسع إنسان واحد استيعاب جميع الصناعات المتفرقة، وكان لابد للناس من ضرورة، قادتهم الحاجة إلى الترافد، واستعانة بعضهم ببعض ليكمل باجتماع جميعهم، ولم يكن بد ضرورة منه، لأن هذا يبذر لهذا قمحا يتقوته، وهذا يعمل لهذا ثوبا يلبسه، وهذا يصنع لهذا بيتا يكنه (و يستره)، وهذا ينجز لهذا بابا يغلقه على بيته، وهذا يخرز لهذا خفا يمنع به الآفات عن رجله، وغير ذلك مما لا يكاد العدد يدركه من فنون الصناعات وضروب الحاجات[4].."، لأنه لم يكن في استطاعة إنسان واحد أن يكون فلاحا، نساجا، بناءا، نجارا، إسكافيا، ولو أنه كان محسنا لهذه الصناعات كلها لم يف وحده بما

[1] إبراهيم الدبو، مرجع سابق، ص99.

[2] قدامة بن جعفر، الخراج و صناعة الكتابة، شرح وتحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، دط، العراق، 1981، ص430.

[3] عبد الجبار ناجي، مرجع سابق، ص 162.

[4] قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص 431.

يحسنه منها، وعلى هذا نجد فطرة الله سبحانه وتعالى أن فطر الإنسان محبا للمؤانسة مؤثرا للإجتماع مع ذوي جنسه، فاتخذوا المدائن والأمصار واجتمعو فيها للتعاضد والتوازن[1].

– 5 – العامل الديني:

يضاف إلى العوامل السالفة الذكر في مسألة اختطاط المدن، نجد العامل الديني والثقافي والحضاري ساهم بقوة في اختطاط مدن حواضر، اعتبرت مركزا إشعاعيا حضاريا في المنطقة، ومن ذلك إعتبار تلك المدينة حاضرة ثقافية تنشر بها المراكز الثقافية، من مساجد ومدارس قرءانية وما شابهها، ومثالها حاضرة تلمسان وتيهرت وغيرها، هذا ويلعب العامل الديني دوراً مهماً في نشوء المدن وتطورها في معظم الأحيان[2]، فقد كان العامل المميز للمدن القديمة إذ يحتل المعبد الرئيسي مركز المدينة في معظم الأحوال، ويقابله في المدينة الإسلامية المسجد، وما يلحق به من مؤسسات ثقافية، إلا أن السمة الدينية لا تغلب على معظم هذه المدن نتيجة اضطلاعها بالوظائف المهمة التي قد تتساوى في بعض الأحيان مع الأهمية الدينية[3].

أشرنا في الفصل السابق إلى التعريف بالمدينة الإسلامية، من خلال التطرق إلى مفهومها، والخصائص المختلفة التي تميزها، وشروط قيامها وتحققها، والمقاصد المختلفة لقيامها سواء ما تعلق منها بالإعتبارات الشرعية، أو الطبيعية والإستراتيجية، أو الإقتصادية أو غيرها من الإعتبارات...

فالمدينة هي المكان الجغرافي الذي يضم مجموعة بشرية آثرت على نفسها أن تعيش في وسط تفاعلت فيه مع بعضها البعض، وتكاملت في تحقيق مآربها المختلفة سواء ما تعلق منها بتحقيق الأمن والسكينة العامة، أو ما تعلق منها بسد احتياجاتها اليومية من تموين بالمواد الغذائية والإستهلاكية، أو تمويل برؤوس الأموال نتيجة حركية الأنشطة التجارية، والحرفية الصناعية، وتحقيق مختلف الخدمات ذات الطابع المرفقي العام، من مؤسسات وقفية،أو دينية، أو تعليمية ثقافية... وغيرها.

ارتبط تحقيق هذه الأهداف التي تتم على مستوى نطاق المدينة، بالمقاصد العامة التي أوجبت الشريعة الإسلامية حمايتها في علم أصول الفقه من خلال ماورد من آيات قرءانية، وأحاديث للرسول عليه الصلاة والسلام، والتي شملت ما قصده الشرع من الضروريات والحاجيات والتحسينات عبر نفي

---

[1] نفسه، ص 433.

[2] يحي وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، المجلس الوطني للثقافة والفنون (سلسلة عالم المعرفة)، د ط، الكويت، 1425هـ-2004م، ص 149.

[3] عبد الجبار ناجي، مرجع سابق، ص 53

الضرر ورفعه وقطعه من جهة، وتحقيق للكليات الشرعية الخمس: من حفظ للدين، والنفس، والعقل، والنسل (العرض)، والمال، مع مراعات العلل الجزئية للأحكام الفقهية فيها، وتحقيق مطلق المصلحة سواء كانت هذه المصلحة جلبا لمنفعة، أو درءا لمفسدة.

مع الإشارة إلى أن احترام هذه الشروط ساهم في بناء علاقات إنسانية متميزة في المدينة الإسلامية، وعمل على تمتين النسيج الاجتماعي، وإشاعة الوحدة بن ساكنيها، وتعميق الأصول النفسية للتكامل الاجتماعي، مثل التعاون والتراحم وحسن الجوار، والإيثار، والإحسان وغيرها...

زيادة على هذا، يمكن القول بأن المدن بصفة عامة كانت موجودة ببلاد المغرب الأوسط قبل الفتح الإسلامي، إلا أن الصبغة الإسلامية هي التي طبعت بها، بعد مجيئ الفاتحين الأوائل للمنطقة، إذ ساهمت في رسم لوحة متميزة لم تكن تعرفها تلك المدن، وهذه السمة جمعت ما بين الطابع الجمالي الفني، والمقاصد الشرعية الدينية، والروح الحضارية، وحاجة الأفراد الإجتماعية لبعضهم بعضا من جهة، و الإقتصادية لتلبية مختلف طلباتهم الإستهلاكية من جهة أخرى.

فرضت معطيات موضوعية على قادة الفتح أن يختطو مدنا يمكن أن نصفها بالمدن الإستراتيجية من حيث أنه ساهمت مجموعة هامة من المميزات والخصائص في اختيار مواقعها واختطاطها، فمنها ما تعلق بالجانب الطبيعي الذي شمل طبيعة تضاريس المنطقة، ومناخها.. وكونها تخدم الجانب الأمني، والسياسي، والمتعلق بدرء المخاطر: سواء كانت طبيعية كوقوعها في مجرا لواد مثلا، أو بشرية سياسية كحالة تحصينها من خطر عدو يحدق بها، أو دولة تنافسها النفوذ على المنطقة، فنجد كثيرا من مدن المغرب الأوسط تحصنت فوق هضبة وصخرة منيعة، كقسنطينة، وبجاية مثلا، أو أحيطت بسور يحميها كمدينة بني يزقن مثلا..

نجد أيضا عاملا متميزا يفرض استقلاليته والمتمثل في وجود المورد المائي سواء كان سطحيا له علاقة بمناخ المنطقة، وجريان أودية أو أنهار قريبة من موضعها، أو وجودها في منطقة تميزها وفرة المياه الجوفية، وإمكانية استغلالها، إذ حيثما كان الماء كانت الحياة، مصداقا لقوله تعالى، بعد بسم الله الرحمان الرحيم: " وجعلنا من المآء كل شيئ حي "[1].

بالإضافة إلى اعتبارات أخرى تؤخذ بعين الإعتبار، كوقوع مكانها على مستوى مسالك التجارة وطرق المواصلات سواء كانت طرقا برية كمدينة تيهرت أو ورجلان أو بحرية كمدينة بجاية وتنس،

[1] (سورة الأنبياء، الآية: 30).

زيادة على الأخذ بعين الإعتبار العامل الإقتصادي والمتمثل في طبيعة النشاط الإقتصادي السائد في المنطقة والمؤهلات والموارد الأولية التي تستثمر فيه، ناهيك عن العامل البشري والديني والإجتماعي، إذ أن زيادة تعداد السكان في منطقة يحتم التفكير في اختطاط مدن جديدة، كما أن الفرد يستقر مع بني جنسه وعشيرته وحيث تكون المدنية، نظرا لضرورة التكافل والتعاون والإستئناس مع بني البشر، وهذا ما يقره الدين الحنيف من خلال تعاليم فقه العبادات والمعاملات في الشريعة الإسلامية، عبر المركز الرئيسي، ألا وهو المسجد (الجامع). فهو الحلقة الرئيسية في تنظيم مختلف شؤون الحياة، وعلاقة الأفراد بعضهم بعضا.

الفصل الأول:

مراحل تطور المدينة الإسلامية بالمغرب الأوسط

- أولا: في عهد الفاتحين الأوائل
- ثانيا: في عهد الدولة الرستمية
- ثالثا: في عهد الدولة الحمادية
- رابعا: في عهد الدولة الزيانية

نتطرق من خلال هذا الفصل إلى مراحل تطور المدينة الإسلامية بمنطقة المغرب الأوسط من خلال التطرق إلى الأنشطة التي ارتبطت إما باختيار مواقع لإنشاء حواضر إسلامية من بداية التأسيس، أو إبقاء مدن أثرية قديمة كان له دور في الحضارات السابقة مثل مدينة بونة (عنابة)، أو تنس، أو بجاية، وإضفاء الصبغة الإسلامية عليها، عبر مختلف الحقب الزمنية التي عرفتها المنطقة بداية من عهد الفاتحين الأوائل، إلى مرحلة قيام الدول الإسلامية ببلاد المغرب الأوسط من الدولة الرستمية إلى الدولة الزيانية مرورا بالدولة الحمادية، والبحث في مزايا اختطاط عواصم هذه الدول وأبرز أنشطتها ودورها في إثراء حلقة الحضارة الإسلامية.

ينبغي الإشارة في البداية إلى أن بلاد المغرب عموما تنقسم إلى ثلاث نطاقات، وهي: نطاق بلاد المغرب الأدنى وتضم برقة، وطرابلس وتمتد غربًا حتى بجاية أو تاهرت، وقاعدتها مدينة القيروان، أما نطاق بلاد المغرب الأوسط فتضم المنطقة الممتدة من تاهرت وحتى وادي ملوية وجبال تازة غربًا، وقاعدتها تلمسان وجزائر بني مزغنة. وأما نطاق المغرب الأقصى فيمتد من وادي ملوية وحتى مدينة أسفى على المحيط الأطلسي وجبال درن جنوبًا.

يجدر بنا الإشارة إليه أن وجود المدينة ببلاد المغرب عموما، لم يرتبط من حيث التأسيس الفعلى بحركة الفتح الإسلامي مطلقا، وإنما حضور المدينة بالمنطقة نجده ضارب في تاريخ المنطقة، غير أن الذي حدث هو أن الإسلام وحركة الفتح الإسلامي على يد القادة الفاتحين الأوائل ساهمو إلى حد كبير في نقل معالم وخصائص المدينة الإسلامية إلى منطقة بلاد المغرب الأوسط، الأمر الذي نتج عنه إثراء المدن القديمة وإصباغها بالصبغة الإسلامية الجديدة وظهور مدن جديدة في وقت قياسي. هذه الصبغة الجديدة أضافت إلى معنى المدينة جملة من الخصائص الهادفة إلى خلق حياة مستقرة هادئة آمنة يسودها التعايش والتكامل بين ساكنيها من جهة، وتصطبغ بالحركية والنشاط الإقتصادي والثقافي الحضاري الذي تعيشها من جهة أخرى، عن طريق المؤسسات ذات الطابع الإجتماعي الديني، وعلى رأسها الجامع أو المسجد الذي يعتبر حلقة ونواة أساسية لتأسيس أي مدينة إسلامية.

عن طريق الوظائف التي يقوم بها المسجد والتي شملت تحقيق أهداف مرتبطة: (بالعبادة، بفقه المعاملات، بإصلاح ذات البين، والمتخاصمين، التعليم والتفقه في الدين عبر مختلف العلوم والفنون، تحقيق الوحدة الإجتماعية، والإعلامية بين ساكنة المدينة، إذ قام المسجد بدور إعلاميي قبل ظهور المؤسسات المختصة في هذا المجال..)، نجد أن ساكنة المدينة عاشو في سكينة عامة، تعايش عام يساعد فيهم المستطيع المحتاج، وطالب المساعدة، الأمر الذي حقق صفة التكافل الإجتماعي بين

أفراد مجتمع المدينة، وكلها صفات ومقاصد حرصت الشريعة الإسلامية على تحقيقها وضمانها في الحياة الحضرية خاصة، مقارنة بحياة البداوة التي تفتقر لخصائص نجدها في المدينة فقط. وعليه سأعمل على تتبع مراحل المدينة الإسلامية بالمغرب الأوسط من خلال:

– أولا: في عهد الفاتحين الأوائل

بالنسبة للفاتحين الأوائل لمنطقة بلاد المغرب الأوسط أمثال أبو المهاجر دينار، وعقبة بن نافع الفهري، وزهير بن قيس البلوي، وحسان بن النعمان الغساني، فهم لم يؤسسو مدنا من عدم، وإنما عملو على صبغ المدن القديمة التي كانت موجودة بالمنطقة بالصبغة الإسلامية، ساهمو في تطويرها وتزيينها بروح تعاليم الإسلام، وفنونه، فتميزت عن غيرها بتفننها وتحضرها، هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد أن المدن التي أسسها الفاتحون الأوائل في المغرب الأدنى كالقيروان وتونس كان لها كبير الأثر في اتخاذها كقواعد ومثال يحتذى به في اختطاط المدن، وتأسيس الحواضر. فقد نشطت حركة الفتوح خلال عهد الدولة الأموية، وبدأ المسلمون يمارسون دورهم الحضاري في النهضة بدعوة البربر للإسلام، وترسيخ الوجود الإسلامي في المنطقة[1]. فكان من مظاهر ذلك:

كان للفاتحين الأوائل دور مهم في التحول التاريخي والإجتماعي والسياسي الذي طرأ على بلاد المغرب بصفة عامة، كما ساهمو في في إيصال الدعوة الإسلامية وتعاليمها لمختلف مناطقها، فيعود الفضل في بناء مدينة القيروان وإعمارها لعقبة بن نافع القرشي الفهري، إذ أنه ولطول إقامته في برقة وزويلة وما حولها منذ فتحها أيام عمرو بن العاص[2]، أدرك أنه لكي يستقر الأمر للمسلمين في إفريقيا ويكف أهلها عن الإرتداد لابد من بناء قاعدة ثابتة للمسلمين ينطلقون منها في غزواتهم ويعودون إليها ويأمنون فيها على أهلهم وأموالهم[3].

إذ في سنة 50هـ/670م أسس عقبة مدينة القيروان وبنى جامعها، وقد مهد عقبة قبل بناء المدينة لجنوده بقوله: " إن إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يامعشر المسلمين أن تتخذو لها مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر، فاتفق الناس على ذلك وأن يكون أهلها مرابطين، وقالو نقرب من البحر ليتم لنا

[1] حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 66.

[2] أحمد البلاذري، مصدر سابق، ص 236.

[3] عبد الشافي مُحَمَّد عبد الطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي، دار السلام للطباعة والنشر، ط 01، القاهرة، 1429هـ-2008م، ص 230.

الجهاد والرباط، فقال عقبة: إني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة فيملكها، ولكن بينها وبين البحر مالا يوجب فيه التقصير للصلاة فهم مرابطون"[1]، ولم يعجبه موضع القيروان الذي بناه معاوية بن حديج قبله، فسار والناس معه حتى أتى موضع القيروان اليوم. وكان موضع غيضة لا يرام من السباع والأفاعي، فدعا عليها، فلم يبقى فيها شيئ[2]. كما قام حسان بن النعمان ببناء مدينة تونس وذلك بأمر من والي مصر عبد العزيز بن مروان، بتوجيه من الخليفة عبد الملك بن مروان، وكان الهدف من ذلك هو إنشاء ميناء بحري، وقد أسس على مرفأ قديم كان يسمى (رادس)، وفي نفس الوقت تكوين قاعدة عسكرية لرد هجمات البيزنطيين سنة 78هـ/697م من خلال بناء دار لصناعة السفن بمدينة تونس[3].

– ثانيا: في عهد الدولة الرستمية

تغير حال بلاد المغرب الإسلامي بقيام الدولة الرستمية إلى الأحسن وخاصة بعد بناء حاضرتها تيهرت[4]، عاصمة الدولة الرستمية، والتي شهدت تطورا ملحوظا في مختلف مناحي الحياة السياسية، والإقتصادية والإجتماعية والثقافية، حتى صارت مركزا حضاريا يؤمه الناس من كل بقاع العالم الإسلامي. فاشتهرت هذه الدولة بنظام الشورى المطبق فيها ، وبعدالة أئمتها ، وصلاحهم وتقواهم وعلمهم، وبازدهارها، وقد كان يعيش تحت ظلها أتباع كل المذاهب الإسلامية، وكانوا يمارسون عبادتهم بكل حرية وأمان، وكانت لهم مساجدهم وبيوتهم الخاصة التي يعيشون فيها مصاني الحقوق، يسودهم العدل والإنصاف من دون تفريق ولا تمييز مذهبي[5].

قامت الدولة الرستمية على أساس سياسة متسامحة لم تقص أيا من معتنقي المذاهب المخالفة ولم تتعصب لعناصر محددة دون أخرى – ولو إلى حد نسبي – سمحت بتشكيل مجتمع مختلط ضم جنبا

---

[1] إبن الأثير(555هـ-630هـ)، مصدر سابق، ج 03، ص 481. وينظر كذلك علي مُحَمَّد الصلابي، الدولة الأموية، دار المعرفة، ط 02، بيروت، لبنان، 1429هـ-2008م، مج 01، ص 363.

[2] نفسه، ص 482. وينظر كذلك عبد الشافي مُحَمَّد عبد الطيف، المرجع السابق، ص 244.

[3] موسى لقبال، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 02، الجزائر، 1981، ص 69.

[4] مدينة مشهورة من مدن المغرب الأوسط، وكانت فيما سبق مدينتين كبيرتين إحداهما قديمة والأخرى محدثة، عرفت بإنتاجها الزراعي وثرواتها الحيوانية، وبردها الشديد في فصل الشتاء، وكانت عاصمة الرستميين حتى سقوط دولتهم سنة 296هـ. ينظر الحميري مصدر سابق، ص 126.

[5] ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح مُحَمَّد ناصر وإبراهيم بحاز، دط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1405هـ-1985م، ص 71.

إلى جنب مختلف الفرق المذهبية والعرقيات، فصارت عاصمتهم تيهرت وماحولها موطنا للكثيرين من معتنقي المذاهب والفرق الغير إباضية، إضافة إلى جاليات أجنبية من أهل الذمة من النصارى واليهود، هذا التنوع المذهبي والديني راجع إلى السياسة المعتدلة التي تبناها الأئمة الرستميون والقائمة على نبذ التعصب المذهبي و العرقي[1]، وقد لاقت هذه السياسة قبولا وإجماعا من هذه الفرق كلها، بل واعترفت بإمامة البيت الرستمي وانضوت تحت لواء حكم هذه الأسرة، وبذلك تلافت الدولة الرستمية مشكلة النزاعات المذهبية وساهمت إلى حد ما في إيجاد نوع من الإستقرار السياسي خلال فترات عديدة من تاريخها، هذا الإستقرار الذي كان له أبعد الأثر على مختلف الجوانب الحياتية الأخرى[2].

حظيت المذاهب في الدولة الرستمية عموما بتسامح كبير نسبيا، فنجد بعض شيوخهم قد تولو بعض المناصب الهامة في الدولة في أواخر حكم بني رستم، بالإضافة إلى الحرية التي تمتع بها الناس في إظهار مذاهبهم، حيث كان الإباضية لا يمنعون أحدا من الصلاة في مساجدهم ولا يكشفونه عن حاله ولو كان مخالفا لمذهبهم، كما وجدت بمدينة تيهرت مساجد خاصة بكل فرقة حتى صارت تلك المساجد تعرف بهم وتنسب إليهم، مثل مسجد الكوفيين ومسجد البصريين وغيرهم[3].

روى ابن الصغير عن مناظراته مع بعض الفقهاء الإباضيين دون أن يتعرض للمضايقات أو البطش بالرغم من أنه كان لا يدين بالمذهب الإباضي، وكان يحضر مجالس أبي اليقظان[4] العلمية في مناسبات عديدة، كما أشار إلى تعدد المجالس العلمية لهذه الفرق والتي كانت متاحة أمام الجميع من أتباع المذهب وغيرهم، مما يدل على سياسة التسامح المذهبي الذي كان واضحا على معالم الدولة الرستمية، ويصرح في هذا الصدد قائلا: " إذ كان فقهاء الإباضية وغيرهم لا يطالب بعضهم ببعض،

---

[1] الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد (ت670هـ/1271م)، طبقات المشايخ بالمغرب، تح إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974، ج 02، ص 351.

[2] سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين، دار منشأة المعارف، دط، الإسكندرية، د س ط، ج 02، ص 123.

[3] الدرجيني، مصدر سابق، ج 02، ص 353.

[4] مُحَمَّد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم، خامس الأئمة الرستميين بتيهرت، ولد ونشأ في تيهرت في أيام إمارة أبيه، قصد الحج نحو سنة 238هـ، فقبض عليه عمال الدولة العباسية ونقل إلى بغداد وسجن بها، ثم أطلق سراحه وعاد إلى تيهرت فوجد والده قد توفي، و تولى أخاه سدة الإمامة الرستمية، وبعد الثورة على أخيه أبوبكر، بويع أبو اليقظان بالإمامة سنة 241هـ، وظل كذلك حتى وفاته سنة 281هـ. ينظر خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، دط، بيروت، لبنان، د س ط، ج 06، ص 04.

ولا يسعى بعضهم ببعض، وكان الفقهاء يتناظرون فيما بينهم كل فرقة تدلى بما لديها، فمن أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم قربوه وناظروه ألطف مناظرة، وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله كذلك[1].

يشير هذا دون شك إلى التنافس الكبير بين المذاهب التي عاشت في كنف الدولة الرستمية التي أوجدت له مجالا عظيما بفضل السياسة المتسامحة مع المذاهب الأخرى، حيث وجدت في تيهرت مجالا لنشر أفكارها، فعقدت المناظرات الطويلة وحلق العلم التي وصفها ابن الصغير بشكل تبدو من خلاله مظاهر التسامح المذهبي وحتى الديني[2].

تظهر لنا من خلال ماسبق حقيقة هامة تتجلى في مبادئ التعايش والتسامح التي سار عليها عبد الرحمان بن رستم وتبعه الأئمة الرستميون من بعده وهذه السياسة الحكيمة التي انتهجتها الدولة الرستمية جعلت من مدينة تيهرت مركز إشعاع علمي متميز في بلاد المغرب الإسلامي، ومقصدا لكافة الراغبين في النزول بها دون اعتبارات مذهبية أو عرقية، أو غيرها، وكان لهذا التنوع من تأثير إيجابي في الحياة الإجتماعية والإقتصادية والثقافية في مدينة تيهرت حاضرة الرستميين خلال تلك الحقبة التاريخية[3].

كان للسياسة التي انتهجتها الدولة الرستمية أن أحدثت تغيرات اجتماعية وتطورات إقتصادية وفكرية في منطقة المغرب الأوسط، أشار إليها ابن الصغير في مواضع متعددة من كتابه، مرجعا السبب الرئيسي فيها إلى سياسة التسامح المذهبي والديني التي انتهجتها الدولة الرستمية حتى أواخر أيامها، وسياسة العدل والتعايش التي ساهمت إلى حد بعيد في تطور مختلف الجوانب[4].

-1- على الصعيد الإقتصادي: نجد أن منطقة المغرب الأوسط عانت زمنا طويلا من عدم الإستقرار الإقتصادي بسبب الإضطرابات التي سادت بلاد المغرب في عصر الولاة، تلك الإضطرابات التي دمرت عناصر الإقتصاد المغربي في هذه الفترة وما تمخض عنه من ثورات أضرت بالمنطقة، وما أحدثته هذه الحروب و النزاعات من تهديد مباشر لطرق التجارة، الأمر الذي ترك أثرا سيئا على

[1] ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح محمد ناصر وإبراهيم بحاز، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1405هـ-1985م، ص 80.

[2] ابن الصغير، مصدر سابق، ص 82.

[3] سعد زغلول عبد الحميد، مرجع سابق، ج 02، ص 125.

[4] ابن الصغير، مصدر سابق، ص 32.

أحوال البلاد الإقتصادية[1]، يضاف إلى ما سبق أن هذه المنطقة عرفت نشاطات إقتصادية محدودة قبل قيام الدولة الرستمية محصورة في الزراعة والرعي لأنها كانت موطنا للقبائل البربرية البترية التي تعيش حياة البدو والترحال، كما كانت المنطقة مشهورة بثروتها الزراعية وكثرة مراعيها الغنية بسبب كثرة مياهها التي تأتيها من ثلاث أنهار مختلفة، فاشتهرت كإقليم للمراعي والإنتاج الحيواني، لذلك غلبت مهنة الرعي والزراعة على قاطنيها.[2]

لم يعرف الوضع الإقتصادي تغيرا كبيرا غداة قيام الدولة الرستمية، لأن أغلب القبائل التي ناصرت الدعوة الإباضية في بادئ الأمر والتي قامت على أكتافها الدولة الرستمية بترية بدوية تعيش على الرعي والزراعة والترحال، لذلك اقتصرت مداخيل بيت المال في بداية الدولة الرستمية على الزكاة والجزية والخراج، وكانت هذه المداخيل الشرعية الوحيدة التي اكتفى بها الرستميون بادئ الأمر[3].

لكن مع تثبيت دعائم الدولة واستقرارها نجد أن الأئمة الرستميين إهتمو بالجانب الاقتصادي لدولتهم، فاهتموا بالزراعة حيث كانت تكثر بها البساتين، زراعة الحبوب، والعصفر والكتان والسمسم، والنخيل، ومختلف الفواكه، والتين والزيتون، فكانت تدر عليهم أرباحا طائلة، وقد كانت تكثر فيها الأنهار، كما أقام الرستميون خزانات وأحواض كبيرة للماء اكتشفها الأثريون، وكانت محكمة التصميم والهندسة، ليحافظوا على الماء أيام الجفاف، بل إنهم أوصلوا الماء إلى البيوت عن طريق الأنابيب وشق القنوات. واهتموا كذلك بالرعي وتربية الماشية، لكثرة المراعي الخصبة في الدولة الرستمية، فكانوا يربون الغنم والبقر والجمال والخيول والبغال والحمير، وكانت تجارتها رائجة، وتصدر إلى الدول المجاورة، وكانوا يستغلونها في إنتاج الصوف، قال ابن حوقل يصف الماشية في تيهرت وأحوازها " : وهي أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية ، ويكثر عندهم العسل والسمن"[4].

اهتم الرستميون بالتجارة أيما اهتمام ، فأنشأوا الأسواق في مختلف المدن ، فكانت رائجة بشتى أنواع البضائع والمؤن التي تأتي من داخل الدولة الرستمية نفسها أو من الدول الأخرى عن طريق العلاقات التجارية ، حيث أنه كانت للدولة الرستمية علاقات تجارية مع الكثير من الدول كالأندلس

[1] مُحَمَّد بن أحمد المقدسي، مصدر سابق، ص 227.

[2] نفسه، ص 228.

[3] سعد زغلول عد الحميد، مرجع سابق، ج 02، ص 308.

[4] ابن حوقل(ت367هـ/977م)، صورة الأرض، دار صادر، ط 02، بيروت، 1938م، ص 102.

ومصر وبلاد السودان وغيرها من الدول في المشرق والمغرب ، فكانت القوافل التجارية تخرج من الدولة الرستمية محملة بشتى أنواع البضائع والمؤن إلى تلك الدول ، وتعود كذلك محملة بالبضائع التي تنتج في تلك البلاد ، وكانت تجارة الذهب وبيع الرقيق رائجة في ذلك الوقت ، وللدولة الرستمية نشاط كبير فيها ، ووصل النشاط التجاري فيها إلى حد أنه كان يوجد بها التخصص في الأسواق ، فكان بها سوق النحاس ، وسوق الأسلحة ، وسوق الصاغة ، وسوق الأقمشة وغيرها من الأسواق[1].

-2- على الصعيد الثقافي: اهتمت الدولة الرستمية بإنشاء المكتبات العلمية الزاخرة بمختلف فنون العلم والآثار، ومن مكتباتها المشهورة مكتبة " المعصومة " التي كانت تحوي آلافا من المجلدات والكتب، أوصلها بعض الباحثين إلى ثلاثمائة ألف مجلد، فكانت تحوي بين رفوفها كتبا في علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وتوحيد، وكتبا في الطب والرياضيات والهندسة والفلك والتاريخ واللغة وغيرها من العلوم المختلفة، ولم تكن كتبها مقتصرة على مذهب بعينه بل كانت تجمع مؤلفات لمختلف المذاهب الإسلامية، ومن المكتبات المشهور الأخرى " خزانة نفوسة " الجامعة لآلاف الكتب، وكذلك لم تخل منازل العلماء في الدولة الرستمية من وجود المكتبات الخاصة، وما لها من دور في تنشيط الحياة الثقافية بالمنطقة[2]. بالإضافة إلى ذلك كان اهتمام الدولة الرستمية ببناء المساجد وكانت تنسب لفئات معينة كمسجد البصريين ومسجد الكوفيين، وقامت بدور متميز ورائد كمركز ديني علمي ثقافي ساهم في تفعيل الحياة الثقافية في المنطقة، وتفاعلها مع الحواضر المجاورة لها بحكم دور الرحلات العلمية، ورحلات الحج للبقاع المقدسة ودورها في تجسيد التواصل الحضاري بين الحواضر والأمصار[3].

- ثالثا: في عهد الدولة الحمادية

يعود نسب الحماديين إلى قبيلة صنهاجة، وهي إحدى أكبر القبائل البربرية في منطقة المغرب الأوسط، لذلك تعتبر الدولة الحمادية إحدى الدول الأمازيغية في المغرب الأوسط، إذ تمثل أول دولة

[1] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، ط 02، القاهرة، 1938م، ص 116.

[2] البكري أبوعبيد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/1094)، المسالك والممالك، تح كمال طلبة، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ج 02، ص 36.

[3] ابن الصغير، مصدر سابق، ص 82.

بربرية مستقلة تحكم المغرب الأوسط بعد الفتح الإسلامي[1]. ومن خلال تأملنا لمرحلة حكم الدولة الحمادية سنركز على إسقاط تطور أوضاعها وعلاقاتها مع الكيانات السياسية المجاورة لها على الجانب الإجتماعي والحضاري العمراني لها، إذ مع تأسيس الدولة الحمادية، بنى حماد بن بلكين عاصمة دولته التي أطلق عليها اسم "قلعة بن حماد"، وما زالت هذه القلعة من الشواهد التاريخية الماثلة إلى اليوم لتحكي قصص الحماديين والدول التي تعاقبت على حكم الجزائر وحكم المدينة، إذ يبدأ التاريخ الحقيقي لدولة بني حماد التي حكمت الجزائر بين 1014 و1152 ميلاديًا، حين اختط حماد بن بلكين أو بلقين الزيري مؤسس الدولة مدينة "القلعة" اتخذها عاصمة للحكم، قبل الانتقال إلى مدينة بجاية، حيث أعلن الدعوة العباسية واستقل بالحكم باعتبار أنها دولة رافضة للمذهب الإسماعيلي الذي تبناه الفاطميون واعترفت بالمقابل بالمذهب السني وحق العباسيين في الخلافة[2]. وفيما يلي سنستعرض أهم المدن بالمنطقة:

-1- مدينة القلعة: تحدث ابن خلدون في تاريخه عن مراحل تطورها، فأشار إلى أن حماد أتم بناءها وتمصيرها على رأس المئة الرابعة، وشيد بناياتها وأسوارها، واستكثر فيها من المساجد والفنادق، وأن الناصر بن علنّاس بنى المباني العجيبة المؤنقة، وأن المنصور بنى فيها قصر الملك والمنار الكوكب وقصر السلام، فيما وصف ابن الأثير القلعة وقال إنها "من أحصن القلاع وأعلاها، لا ترام على رأس جبل شاهق، يكاد الطرف لا يحققها لعلوها[3]".

يؤكد المؤرّخون بأن اختيار هذا المكان ليكون عاصمة للدولة الحمادية لم يكن من باب الصدفة، وإنما تمّ البناء على أساس معطيات إستراتيجية شديدة الأهمية، بمفهوم ذلك الزمان، كان أساسها الأول العامل الأمني العسكري، حيث بُنيت القلعة الحصينة، على سفح جبل المعاضيد، وسط سلسلة جبلية لتكون صعبة المنال نتيجة مسالكها الوعرة. وقد تأنق المنصور في اختطاط المباني وتشييد المصانع واتخاذ القصور وإجراء المياه في الرياض والبساتين[4].

---

[1] ابن حزم الأندلسي أبو مُحَّد بن علي، جمهرة أنساب العرب، تح عبد السلام مُحَّد هارون، دار المعارف، ط 05، القاهرة، 1919م، ص 495.

[2] الهادي روجي ادريس، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12، تر حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط 01، بيروت، لبنان، 1992م، ج 01، ص 144.

[3] ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان بن مُحَّد (ت808هـ/1405م)، ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، دط، بيروت، لبنان، 1421هـ-2001م، ج 06، ص 227.

[4] الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج 01، ص 144.

اشتهرت مدينة القلعة بالفلاحة وتربية المواشي والصناعة والنشاط التجاري، ووصف الإدريسي في "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" أهلها بأنهم أبد الدهر شباع، وذلك لغناها بالحبوب، في حين نجد أن ابن خلدون لخص ما اشتهرت به القلعة في كلمات موجزة فقال: "استبحرت في العمارة، واتسعت بالتمدن، ورحل إليها من الثغور القاصية والبلد البعيد طلاب العلوم، وأرباب الصنائع، لنفاق أسواق المعارف والحرف والصنائع بها[1]".

-2- مدينة بجاية: إضطر الحماديون إلى التخلي عن القلعة والتمركز في بجاية التي عرفت أيضًا بالناصرية نسبة إلى الناصر الذي بناها واتخذها مركزًا له بعد سنة 460هـ/1068م، - بعد هزيمة الناصر بن علناس الحمادي من تميم بن المعز الصنهاجي، وسيطرة القبائل الهلالية على إفريقية والأثبج على المغرب الأوسط - ونقل إليها الساكنة، وأسقط الخراج عنهم. فكانت بجاية العاصمة الثانية لدولة بني حماد، وبالنسبة لتسمية بجاية، فقد جاءت في وقت متأخر نسبياً، ولذلك أكثر من تفسير، إذا يشير العلامة عبد الرحمن بن خلدون (1406 – 1332): " أن بجاية هو اسم القبيلة البربرية التي كانت تستوطن المدينة في البربرية "بقايث" أو "فقايث" وهي تابعة لكتامة، وتحول نطقها في اللسان العربي إلى بجاية، ولا يزال السكان المحليون لها يسمونها بقايث"[2]. إذ بعد الفتوحات الإسلامية، تأسست بالقرب من بجاية عدة مدن وعواصم إسلامية كبيرة، الأمر الذي أكسبها أهمية إقتصادية، فضلا عن استفادتها على المستوين الثقافي والحضاري من تلك الحواضر[3]. ومن العواصم والمدن المجاورة والمهمة، طبنة عاصمة الأغالبة، وقلعة ايكجان التي انطلقت منها الدعوة الفاطمية، فصارت تابعة لهم واستمرت كذلك حتى في عهد خلفائهم بنو زيري، في حين ظلت بجاية ذلك الميناء المتوسطي الذي يقصده البحارة ذهابا وإيابا، لكنها لم تحظ بأي مكانة سياسية إلا في عهد الدولة الحمادية[4].

لعل سبب اختيار بجاية لهذا الغرض، هو ما ستوفره المدينة الوليدة من سبل لحماية للحماديين من غارات الهلاليين، وذلك بفضل موقعها الجغرافي وتضاريسها الحصينة. وبعدما زارها الأمير، أعجب

[1] الإدريسي أبو عبد الله مُحَمَّد بن إدريس (ت562هـ/1166م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، د ط، القاهرة، 2002، ج 01، ص260.

[2] ابن خلدون، مصدر سابق، ج 06، ص197.

[3] نفسه، ص 198.

[4] الهادي روجي ادريس، المرجع السابق،ج 01، ص 146.

بها وقرر تشييدها لتكون مدينة كبيرة وعاصمة جديدة للحماديين، فاختط على الميناء الصغير مدينة أصبحت بعد ربع قرن عاصمة تضاهي حواضر العالم، واحتفظت بمكانتها لما يقرب من خمسة قرون[1].

شيد الناصر بن علناس بن حماد في بجاية الكثير من المباني العجيبة، فقد كان قصر اللؤلؤ بالقلعة الذي بناه من أعجب قصور الدنيا كما يذكر ابن خلدون[2]. وقد اختار الناصر بجاية عاصمة لدولته نظرا لموقعها المتميز على البحر، وخلال حكم المنصور بن الناصر، تم تشييد جامع بجاية، كما تأنق المنصور في اختطاط المباني وتشييد المصانع واتخاذ القصور وإجراء المياه في الرياض والبساتين، فبنى قصر اللّؤلؤة وقصر أميمون، وما لبثت أن أصبحت بجاية حاضرة كبيرة من حواضر العالم الإسلامي، إذ صارت منارة علمية وثقافية. وما ساعدها في ذلك أكثر، هو سقوط مدينة القيروان، الأمر الذي أدى إلى انتقال الثقل الاقتصادي والعلمي إليها، لتصبح مقصداً للطلبة والعلماء من الشرق والغرب ومن وراء البحر (من أوروبا). لذا يصفها ابن فضل الله شهاب الدين العمري (1301-1349 م) في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار بقوله: " إن بجاية هي ثانية مدن إفريقيا لا من حيث المناظر والموقع والأهمية التجارية ووفرة المنتوجات فحسب، بل زيادة على ذلك فهي حصينة مزهرة بفضل البواخر التي تتردد عليها وتجلب لها بضائع الدنيا [3]". وبلغت الدولة الحمادية في هذه الفترة أوج عظمتها اتساعًا وحضارة[4].

كما ازدهرت الحياة العلمية فيها بشكل كبير، وفي هذا الوقت ظهر تنافس كبير بين حواضر العالم الإسلامي في مجال العلوم، فاشتهرت كل مدينة بعلم محدد، فعرف عن بجاية بكونها "عاصمة الرياضيات" وذلك بفضل احتضانها لمعهد سيدي التواتي الذي كان بمثابة جامعة تقدم التعليم العالي، ولم تستثن الإناث من فرصة الدراسة فيه، ومنه أخذ الأوروبيون الأرقام العربية والجبر والمقابلة وهندسة الإغريقي إقليدس[5].

[1] ابن أبي دينار، المؤنس في الأخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، ط 01، تونس، 1276هـ، ص 41.

[2] ابن خلدون، مصدر سابق، ج 06، ص 199.

[3] شهاب الدين أحمد العمري (ت749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح إبراهيم صالح، المجمع الثقافي، دط، الإمارات العربية المتحدة، د س ط، ص 22.

[4] الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج 01، ص 148.

[5] ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص 43.

كانت بجاية مقصداً للعلماء والطلبة من الشرق والغرب، حتى قيل إن عدد المفتين فيها بلغ تسعين مفت في زمن واحد، وبلغت مكانة مرموقة بين حواضر العالم. وقد أفرد الشيخ أبو العباس الغبريني وهو أحد كبار الفقهاء والمؤرخين في بجاية، مؤلفا يجمع فيه تراجم عشرات العلماء والمؤرخين والأدباء والشعراء وغيرهم من المشاهير الذين احتضنتهم المدينة في القرن السابع الهجري. وقد حمل الكتاب اسم " عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية "، وهو من أهم المصنفات في السير والتراجم للمنطقة[1].

عرفت مجموعة أخرى من المدن التاريخية العريقة بالمغرب الأوسط ازدهارا كبيرا على عهد الدولة الحمادية ومنها على سبيل المثال مدينة ميلة وطبنة والمسيلة وأشير[2]...

-3- مدينة ميلة: عرفت نهضة اقتصادية ونشاطا تجاريا معتبرا انتعشت فيها العمارة وتطورت التجارة وحينها أصبحت قسنطينة من أهم مقاطعاتها، ساعد في ذلك وفرتها على الأراضي الزراعية الخصبة وموقعها في ملتقى الطرق الرابطة بين المدن الساحلية والداخلية، حيث وصفها الإدريسي بقوله " أشجارها وفواكهها كثيرة ومياهها غرفة وأهلها أخلاط البربر جمة والعرب تحكم بخارجها"[3].

-4- مدينة طبنة: هي مدينة تاريخية أثرية عريقة، اعتبرت حاضرة إقليم الزاب وكانت لا تضاهيها مدينة ببلاد المغرب ماعدا مدينتي القيروان وسجلماسة، وقد لعبت هذه المدينة دورا مهما في مواجهة خطر الأدارسة والخوارج على الدولة العباسية، وأوصى هارون الرشيد الوالي روح بن حاتم عليها بقوله: "عليك بالزاب واملأه خيلا ورجالا" فصار بذلك إقليم الزاب يتبع السلطة العباسية مباشرة[4].

-5- مدينة المسيلة: بنى الفاطميون مدينة المحمدية (المسيلة) سنة 313هـ/817م، وبذلك تحول مركز ثقل بلاد الزاب من طبنة إلى المسيلة التي كانت من أعمال مدينة طبنة حسب ما ذكره الإدريسي،إلا أنه بعد سقوط الدولة الأغلبية سنة 296هـ/800م وسيطرة الفاطميين على كل بلاد المغرب تراجع دور مدينة طبنة وحلت محلها مدينة المسيلة ، حيث كان بناء مدينة المسيلة استراتيجيا فهي تقوم بدور سياسي واقتصادي في مواجهة ثورات قبيلة زناتة إضافة إلى حماية الطريق التجاري

[1] أبو العباس الغبريني أحمد ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهض، منشورات دار الأفلاح الجديدة، ط 02، بيروت، 1979، ص 07.

[2] ابن عذاري، مصدر سابق، ج 01، ص 75

[3] الإدريسي (الشريف)، مصدر سابق، ج 01، ص 121.

[4] البكري، مصدر سابق، ج 02، ص 228.

الرابط بين القيروان وسجلماسة وتيهرت، وقد وصف الجغرافيون المدينة بعد تراجع دورها بالتدريج إلى غاية اندثارها وعدم ذكرها ضمن الحواضر والمدن، فابن حوقل الذي زار المدينة في العهد الفاطمي وصفها بـ " وكانت عظيمة كبيرة البساتين والزروع والقطن... وكانت وافرة الماشية[1]..."، ومن الملاحظ أن المدينة خلال هذه الفترة تضررت بفعل الحروب خاصة أنها كانت نقطة عبور القوات الفاطمية في محاولة القضاء على الثورات التي لم تنقطع في المنطقة[2].

نجد هنا تضاربا في آراء المؤرخين حول أسباب خراب العمران ببلاد المغرب عامة وبلاد الزاب خاصة، حيث ألصقت التهمة بقبائل بني هلال وغيرها من القبائل العربية وذهب في ذلك كل من ابن خلدون[3] وابن عذاري[4]، ولو أنه يعاب على نصوص ابن خلدون أن فيها تناقضا في وصفهم، تارة يذمهم في نصه، وتارة يذكر في نصه محاسنهم، وهو مايثير إشكالا حول الحقيقة التاريخية. وعلى النقيض هناك آراء تفند تسبب قبائل بني هلال في خراب العمران، فأوضاع بلاد المغرب أيام حكم الزيريين والحماديين كانت متردية بسبب كثرة الصراعات والحروب، سواء الصراع حول مناطق النفوذ بين الزيريين والحماديين من جهة، ومع قبائل زناتة من جهة أخرى، فكان هذا الوضع المتردي للسلطة السبب الأول في طلب المعز ابن باديس لحلف قبيلة رياح العربية وإدخالها ضمن جنده، فساهم هذا الوضع أيضا في خروج المقاطعات على سلطة الدولة واستقلالها بمناطق نفوذها مثل منطقة الحضنة وبلاد الجريد[5].

-6- مدينة أشير: يعود الفضل في تأسيس هذه المدينة إلى زيري بن مناد الصنهاجي في 324هـ/936م، وتم اختيار موقعها بناء على وفرة المياه وإطلالها على سفوح الجبال الدائرة بها، ازدهرت بها الحياة العلمية وزارها العديد من العلماء والرحالة، اعتبرت حاضرة من الحواضر التي شييدت بها القصور والإقامات والحمامات[6]، عرفت المدينة باستراتيجية وحصانة موقعها، كونها نقطة

[1] ابن حوقل، مصدر سابق، ص 85.

[2] موسى لقبال، طبنة في مجال العلاقة بين زناتة والفاطميين حتى نهاية عهد المنصور الفاطمي، حوليات جامعة الجزائر، دط، الجزائر، 1991-1992، ص 52.

[3] ابن خلدون، مصدر سابق، ج 06، ص 42.

[4] ابن عذاري، مصدر سابق، ج 01، ص 223.

[5] ابن الأثير، مصدر سابق، ج 09، ص 567.

[6] العربي إسماعيل، عواصم بني زيري، دار الرائد العربي، د ط، بيروت، 1984م، ص 14.

وصل بين الشرق والغرب من إفريقيا إلى تيهرت، وبلغت المدينة خلال الحكم الزيري ذروة الإزدهار العلمي والإجتماعي وأصبحت مركز إشعاع ثقافي بالمغرب الأوسط[1].

غير أن كثرة النزاعات الداخلية بين القبائل البربرية والأطماع الخارجية من الغرب والشرق والشمال، عجّلت بزوال دولة بني حماد ودخولها في طاعة الدولة الموحدية التي بسطت سلطانها على أجزاء كبيرة من المغرب الإسلامي[2].

وعلى هذا الأساس نقف على حقيقة حضارية تركت أثرها على تطور المدينة بالمغرب الأوسط، ألا وهي مكانة المنطقة التي اختيرت واختطت كمدينة، من التوازنات السياسية والأمنية والثقافية الحضارية العمرانية، إذ شكلت وحدة أساسية لعبت دورها على مر الزمن من أجل تكريس منطق البقاء والإستمرارية[3].

– رابعا: في عهد الدولة الزيانية

كان بنو زيان ولاة للمغرب الأوسط من قبل الموحدين وعندما ضعف أمر الموحدين، انفصلوا بالمغرب الأوسط وجعلوا مدينة تلمسان عاصمة لهم، وترجع أصولهم إلى قبائل زناتة الكبرى، وعرفوا ببني عبد الواد. وكان بنو عبد الواد قبل استقرارهم بتلمسان من أمراء القبائل الرحل التي تنتقل في الصحراء الكبرى خلف الماء والكلاء والمراعي المناسبة لدوابهم بين سجلماسة ومنطقة الزاب بإفريقية، ومع بداية الفتح الإسلامي ساند بنو عبد الواد عقبة بن نافع الفهري، وشكلوا فرقة من جيشه تابعت معه فتوحاته غربًا[4].

استغل يغمراسن مؤسس الدولة الزيانية تراجع الدولة الموحدية وتداعي حكمها لتوسيع حدوده على حساب أقاليمها، إذ بين سنة 1229 و1235م، عرفت تلمسان والمنطقة التي يقيم بها بنو عبد الواد، أحداث عنف وفوضى، وخلالها حاول والي المنطقة أبو سعيد عثمان القضاء على وجود بني عبد الواد والتخلص منهم وإلقاء القبض على مشايخهم، بعد أن اتسعت رقعة حكمهم في المنطقة. وقد استغل بنو عبد الواد حالة التخبط والصراع على الحكم في إقليم تلمسان ورغبة الموحدين في

[1] أبوعبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، مكتبة المثنى، د ط، الجزائر، 1857، ص 60.

[2] رشيد بورويبة، مرجع سابق، ص 198.

[3] نفسه، ص 200.

[4] أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تق وتح وتع هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، ط 01، مصر، 1421هـ/2001م، ص 24.

تصفية كبار القبيلة لإضعاف قوتها وإخضاعها لدولتهم، في الصعود إلى الحكم والإمساك بزمام الأمور في المنطقة سنة 1235 م[1].

إذ أن أول حكام الزيانيين كان يغمراسن بن زيان، فقد وصل إلى رأس الحكم على إقليم تلسمان بعد أن كتب إليه الخليفة الموحدي عبد الواحد الرشيد بن المأمون بالعهد بتولي الحكم على ولاية المغرب الأوسط وعاصمتها تلمسان[2]. وبعد فترة وجيزة من بداية حكمه، استغل يغمراسن تراجع الدولة الموحدية وتداعي حكمها لتوسيع حدوده على حساب أقاليمها، ثم ألغى سلطة الموحدين على تلمسان واستقل بها مع إبقائه على الدعاء والخطبة للخليفة الموحدي وذكر اسمه في السكة، واتخذ الوزراء والكتاب والقضاة، واستمر عهده حتى سنة 1282م، مما مكنه من توطيد ملكه وتأسيس نظم دولة جديدة بالمغرب الأوسط. وقد ساعدته الظروف التي مرت بها المغرب على الاستقرار وتكوين دولة استمرت ما يقرب من ثلاثمائة سنة تقريبا[3].

والمتتبع لتاريخ تأسيس الدولة الزيانية يقف على ذلك الصراع الحاد على بسط النفوذ في المنطقة بين الدول التي كانت تتنافس فيما بينها حول النفوذ على المنطقة، وأقصد هنا الصراع بين المرينيين في المغرب الأقصى، والحفصيين في المغرب الأدنى، وما لعبته سياسة التحالفات بينها من أثر، إذ كان النزاع سيد الموقف في العلاقات بين هذه الدول الثلاثة في الغرب الإسلامي، فكلما سنحت الفرصة لإحدى الدول استغلتها بهدف القضاء على الدولة الخصم[4]. فالسياسة العامة لدول المغرب الإسلامي الثلاثة هي سياسة المحافظة على التوازن وعدم السماح لأي منها بالانفراد بالسيادة والسيطرة على المنطقة، وكل محاولة للخروج عن هذه السياسة سرعان ما تجابه وتصد بتحالف بين الدولتين ضده. حيث كان بنو عبد الواد ينتهزون الفرص التي تحدث بين أبناء البيت المريني، فيناصرون فريقا على حساب آخر، كما كانوا يدخلون في أحلاف ضد المرينيين مع الحفصيين والذين رأوا في بقاء بني عبد

[1] الدراجي بوزياني، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1993، ص 21.

[2] مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، دار الحضارة، ط 01، الجزائر، 2007، ص 47.

[3] رضوان البارودي، دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، د ط، مصر، 2007م، ص113.

[4] نبيل شريخي، دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والإجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14 و15م، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر، 2009-2010، ص 20.

الواد درع حصين بينهم وبين بني مرين، إلا أن تلك الحالة لم تستمر طويلاً، حيث دخلت الدولتان في صراع عنيف ضد بعضهم البعض، وإن كان أخف من الصراع مع المرينيين[1].

بعد القضاء على الخطر الخارجي والداخلي، تحوّل اهتمام بني زيان إلى تطوير دولتهم ومدنها، فنشطت الزراعة والتجارة والصناعة، ويقول مؤرخون إن الدولة الزيانية اهتمت بترقية الزراعة واتباع طرق علمية في هذا المجال، من ذلك استخراج المياه الجوفية وإقامة السدود وحفر القنوات والجداول للري، كما اعتنوا بتنويع المنتجات الزراعية والإكثار من البساتين والحدائق حول المدن ووسطها. وإلى جانب الزراعة، اعتنى الزيانيون بالصناعة وأشهرها على الإطلاق، صناعة السفن التجارية والحربية والتي كانت الدولة توليها عناية خاصة وتنفق عليها مبالغ هامة، وصناعة الأدوية والتي تدل على مدى تقدم الكيمياء والطب[2].

فضلاً عن انتشار صناعة النسيج على اختلافه والسجاد والزرابي التي اشتهرت بهما تلمسان والأوراس، وصناعة الأحذية والأثاث الرفيع وصناعة التطريز والأسلحة، وقد توفرت لها اليد العاملة الماهرة التي هاجرت الأندلس وبعض عواصم المشرق العربي. كما ازدهرت التجارة في المنطقة، فقد نظّم الزيانيون تجارتهم مع بقية المناطق سواء مع دول أوروبا، أومع دول جنوب الصحراء في القارة الإفريقية وغيرهما[3].

إن هذا الازدهار الاقتصادي والزراعي والتجاري، ساهم في إحياء النشاط العلمي والفكري في البلاد، فقد انتشرت الثقافة والعلوم ونبغ كثير من الفقهاء والأدباء والمؤرخين، فكانت همزة وصل بين دول أوروبا وأقطار ما وراء الصحراء الإفريقية وملتقى طلاب العلم من مختلف الأقطار. وقد استحسن العلامة ابن خلدون نظام التعليم في المنطقة فقال: "يغذي الملكة، ويقرب المفهوم، لأن الأبحاث في مختلف العلوم، جارية على القوانين النظرية والاستدلالات العقلية"[4].

كما انتشرت في تلك الفترة المدارس التي وصفها الحسن الوزان بأنها "حسنة جيدة البناء، مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية"، ومن أشهر هذه المدارس مدرسة ولدي الإمام، التي بنيت في

---

[1] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية عمرانية إجتماعية إقتصادية، دار موفم للنشر والتوزيع، دط، الجزائر،2002، ص 22.

[2] عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص 23.

[3] المالقي، مصدر سابق، ص 80.

[4] الإدريسي، مصدر سابق، ج 01، ص 248

عهد السلطان ابن حمو موسى الأول ويعود سبب بنائها أن الأخوين "ابني الإمام" دخلا تلمسان في عهد هذا السلطان، فأكرمهما وبنى لهما هذه المدرسة التي سميت باسمهما[1]. ومن المدارس التي بنيت في العهد الزياني نجد أيضًا "المدرسة التاشفينية" التي بناها عبد الرحمن أبو تاشفين بجانب الجامع الأعظم، وعين بها مدرسين من كبار العلماء من أمثال أبي موسى المشدالي وكانت هذه المدرسة تحفة فنية رائعة. وبرزت أيضًا المدرسة اليعقوبية التي أسسها السلطان أبو حمو موسى الثاني على ضريح والده يعقوب وعميه: أبي سعيد عثمان وأبي ثابت، وقد أكثر السلطان عليها الأوقاف، وكان الإمام أبو عبد الله الشريف التلمساني واحدًا من أكابر مدرسيها[2].

لم يكن التعليم في العهد الزياني حكرا على المدارس فقط، بل شمل المساجد والزوايا أيضا على اعتبار أنها مراكز علمية مساعدة ومكملة للمدارس، إذ عرفت المنطقة اهتمام كبير بإنشاء المساجد والزوايا، إذ عرفت مدن الدولة إنشاء العديد من المساجد، وأبرزها مسجد سيدي أبي الحسن الذي أسسه السلطان أبو سعيد عثمان، تخليدا لذكرى الأمير أبي إبراهيم ابن يحي يغمراسن بعد وفاته، كما تدل على ذلك الكتابة المنقوشة على لوح من المرمر مثبت على الحائط الغربي لقاعة الصلاة[3]، ومن المساجد الزيانية الباقية أيضا إلى الآن مسجد سيدي الحلوي الذي يحمل مميزات العمارة المرينية في شكل زخارفه[4].

هذا ويمكن القول بأن دولة بني عبد الواد تعرضت للانهيار في العديد من المرات، ومع ذلك استطاعت أن تبقى في حكم المغرب الأوسط لمدة ثلاثة قرون، ويرجع ذلك إلى أسباب منها:

- ظهور الزعيم يغمراسن بن زيان والذي استمر في الحكم لمدة نصف قرن حيث يقول ابن خلدون عنه: (كان يغمراسن بن زيّان بن ثابت بن مُحَمَّد من أشدّ هذا الحيّ بأسا، وأعظمهم في النفوس مهابة وإجلالا، وأعرفهم بمصالح قبيلته، وأقواهم كاهلاً على حمل الملك واضطلاعاً بالتدبير والرياسة، شهدت

[1] سهام مجدوب، جمالية الفن الإسلامي في واجهات المدارس الزيانية والمرينية ببلاد المغربين الأوسط والأقصى 633هـ-962هـ/ 1235م-1554م، دراسة تاريخية فنية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر2، 2010-2011م، ص 09.

[2] عبد الكريم حساين، حركة التأليف التاريخي بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني 633-962هـ/ 1235-1554م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2017-2018، ص 110.

[3] يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، منشورات anep، ط 01، الجزائر، 2002، ص 145.

[4] حسن الوزان، مصدر سابق، ص 19.

له بذلك أثاره قبل الملك وبعده، وكان مرموقاً بعين التجلة، مؤملاً للأمر عند المشيخة، تعظمه من أمره الخاصة وتضرع إليه في نوائبها العامة، فلما تولى الأمر بعد أخيه قام به أحسن قيام، واضطلع بأعبائه وظهر على الخارجين وأصارهم في جملته وتحت سلطانه، وأحسن السيرة في الرعية بحسن السياسة والاصطناع وكرم الجوار واتخذ الآلة ورتب الجند والمسالح وفرض العطاء)[1].

– حصانة مدينتهم وموقعها الوعر، وخصوبة الإقليم المحيط بها، وصبرهم ومصابرتهم في القتال وتحملهم للحصار[2].

– حسن سياستهم مع القبائل العربية الهلالية، إذ تم منحهم إقطاعات واسعة وإكرامهم بالأموال والعطاء، فكانوا من الأسباب الظاهرة لحماية الدولة[3].

– إسناد مرافق الدولة إلى الأندلسيين، الذين هاجروا من ظلم النصارى الإسبان وجورهم وتعسفهم، فاستفادت الدولة من خبرتهم في الوزارة، وفي الحياة المعمارية، والحياة الثقافية[4].

– اهتمامها بالتجارة واستفادتهم من موقع تلمسان الذي كان محطة بين افريقية المدارية وأوروبا، فكان التبادل يتم بين التجار ما يحملوه من أفريقيا من تمر ورقيق وجلود وعاج وبين ما يحمله التجار من أوروبا وأخصها السلاح. فهيأت الدولة الأمن للتجار وخفضت عنهم الضرائب، واكتفت بما تحصله من رسوم، فكان للتجارة سبب في ازدهار الدولة وحصولها على الأموال اللازمة[5].

– اهتمام الدولة بالعلماء والأدباء والشعراء حتى أن يحي بن خلدون (ت 780هـ) وهو أخ المفكر الكبير والمؤرخ المعروف بن خلدون، استطاع أن يصل إلى وظيفة الحجابة في زمن الأمير أبي حمو موسى الثاني (753هـ/1352م-791هـ/1389م)، وكان هذا الأمير محبا للعلماء والأدباء، وكان هو نفسه أديباً شاعراً وله كتاب اسمه: (نظم السلوك في سياسة الملوك) ووقف مع غرناطة في جهادها بالمال والرجال[6].

[1] ابن خلدون، مصدر سابق، ج 06، ص 208.
[2] نفسه، ص 211.
[3] مختار حساني، مرجع سابق، ص 51.
[4] الدراجي بوزياني، مرجع سابق، ص 26.
[5] ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل) ، مصدر سابق، ص 31.
[6] حسن الوزان، ، مصدر سابق، ج 02، ص 19.

وفي عهد بني زيان على العموم نبغ جماعات من أشهر العلماء والأدباء والكتاب والمفكرين، ولعل في قمة هؤلاء هو عبد الرحمن الثعالبي مؤلف الجواهر الحسان، والمقري مؤلف نفح الطيب كما امتازت هذه الدولة ببناء المدارس الفسيحة التي تعتبر من مظاهر الفن المعماري العربي، وأجريت على طلبتها وشيوخها الأرزاق[1].

إن من أبرز ما يلاحظ على تطور المدينة خلال فترة الحكم الزياني هو تميزها في هذه الحقبة بالتنظيم الإداري إذ قسمت السلطات في الدولة إلى:

- 1 - السلطة العسكرية ويتولاها صاحب السيف.
- 2 - السلطة الإدارية ويتولاها صاحب القلم.
- 3 - السلطة القضائية ويتولاها قاضي القضاء.
- 4 - السلطة المالية ويتولاها صاحب المال[2].

ويتابع مسؤلي السلطات السابقة شخص يطلق علية (مزاول)، وله حق الإشراف على كل هؤلاء، وهو ما يعرف في وقتنا برئيس الوزراء، وفي كل مدينة أو قبيلة كان يوجد الحافظ (الوالي) وهو حافظ النظام الإسلامي، وإلى جانبه المحتسب وهو المشرف على الحسبة، والقاضي وغيرهم من موظفي الدولة وجباة الضرائب[3].

من خلال ماسبق ذكره في هذا الفصل، ومن خلال تأملنا لتطور فكر المدينة ببلاد المغرب الأوسط نقف على صفة الإستمرارية الطبيعية للفكر الإجتماعى للإنسان، و الذي يظهر من خلال ما أسسه من مرافق إختلفت وظيفتها باختلاف الهدف منها، فكان منها المرفق الديني الذي شمل الجوامع و المدارس القرآنية، وكان منها المرافق ذات الطابع الإجتماعي الهادفة لتحقيق التكافل والتآزر بين أبناء المجتمع، ومنها المرافق الخدماتية الإقتصادية كالأسواق والساحات العامة.. التي يستعين بها سكان المنطقة في قضاء مصالحم المتعددة..

إن كل هذه الأنشطة نجدها تحققت في مختلف الحقب التي مررنا عليها في الفصل السابق سواء عهد الفاتحين المسلمين الأوائل ببلاد المغرب الإسلامي، أو عهد الدويلات الإسلامية التي قامت في

[1] نبيل شريخي، مرجع سابق، ص 43.

[2] الدراجي بوزياني، مرجع سابق، ص54.

[3] المالقي (مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد السقطي) ، مصدر سابق، ص 91.

المنطقة: (الدولة الرستمية، الحمادية، الزيانية)، إذ نجد أن هذه الكيانات قبل قيامها تخيرت مواضع تأسيس نواة مدنها فراعت بذلك الإعتبارات التالية:

العامل الأمني بالدرجة الأولى والمتمثل في تحقيق حالة حصانة المدينة من الخطر الخارجي المحتمل، يليها الإعتبار الثاني والذي شمل توفر الماء كمورد أساسي للإستقرار في أي منطقة من المناطق، وما يلحق به من صفات ذات طابع جغرافي طبيعي كأن تكون على مهب الشمال، بهدف الحصول على الهواء النقي، زيادة على الإعتبارات الإستراتيجية الإقتصادية كقربها من المسالك والطرق التجارية سواء كانت بحرية أم برية وخصوصا الثانية منها، وأن لا تكون بعيدة بمسافة كبيرة جدا عن الساحل، دون إهمال الجوانب الحضارية الثقافية، لأنه بتحقق الإستقرار وحصانة المنطقة تزدهر بالمقابل الحياة الإقتصادية، وتنتعش الحياة الثقافية وتزدهر المدن وتبنى بها المظاهر العمرانية للحضارة من مساجد ودور العبادة والزوايا، القصور، المساكن، والساحات العامة، الأربضة ومراكز الإحتفالات.

الفصل الثاني:
أثر الإسلام على الجانب الإجتماعي والثقافي والاقتصادي بالمدينة بالمغرب الأوسط

- أولا: أثره على الجانب الإجتماعي.
- ثانيا: أثره على الجانب الثقافي.
- ثالثا: أثره على الجانب الإقتصادي.

من خلال هذ الفصل سنتطرق إلى أثر الإسلام بالمدينة بالمغرب الأوسط على الجوانب الاجتماعية والثقافية، إذ أن العوامل التي ساهمت في اختطاط المدن الإسلامية تركت ببلاد المغرب الأوسط أثرها الواضح على الجانب الإجتماعي والثقافي في المدن التي أنشئت و طورت في المنطقة، إذ أن تلك العوامل بمختلف طبيعتها، تستمد مرجعيتها من الأعراف والعادات الضاربة في تاريخ المناطق المفتوحة، والتي نظمتها الشريعة الإسلامية من خلال ما ورد من نصوص قرءانية، و ما نصت عليه سنة المصطفى عليه الصلاة و السلام في هذا المجال.

إن الملاحظ في العوامل الاجتماعية التي أثرت في تخطيط وعمارة المدن الاسلامية، ماهي إلا نتيجة لتفاعل وتعايش الافراد مع بعضهم البعض، في إطار المجتمع الذي يخضع افراده لمجموعة من العادات والاعراف والتقاليد، التي يسير وفقها الفرد العربي المسلم، وتظهر تلك التأثيرات الاجتماعية واضحة، في بعض الأسس التي اعتمدت عليها المدن العربية الاسلامية، سواء من حيث التخطيط أو العناصر المعمارية، ولعبت تلك العناصر دورا في تخطيط المدن الإسلامية الأولى التي أنشئت لتكون معسكرات للجيوش العربية الاسلامية الفاتحة، فخضعت تلك المدن للإطار الإجتماعي في التخطيط وتبع ذلك المدن المستحدثة نتيجة التطور و التوسع العمراني، فكانت تلك المدن في تخطيطها وبنائها ملائمة مع الطابع الاجتماعي للعرب المسلمين واحتياجاتهم، وهو ما سأتطرق له بالتفصيل.

– أولا: أثره على الجانب الإجتماعي.

إن الانسان اجتماعي بطبعه، يميل للعيش ضمن مجموعة بشرية، ويكون له بها علاقاته الاجتماعية المختلفة، ويتواصل ويتفاعل مع افراد مجتمعه، بهدف ديمومة حياة الجنس البشري، إذ تعتبر العمارة، المنتج الثقافي الأكثر تواجدا في المحيط الانساني، فنحن نولد ونعيش ونتعلم ونموت ضمن إطار معماري هذا من جانب، ومن جانب اخر فإن للعمارة مجموعة من الوظائف تنوعت بتنوع الإستعمال والغرض من الإنشاء، وطريقة التخطيط هذا بالاضافة الى دور العوامل الاجتماعية التي لعبت دورا مهما في تخطيط وعمارة العديد من المدن وظهور عناصرها المعمارية[1].

إن المتتبع لظهور بعض العناصر التخطيطية والمعمارية في العمارة الإسلامية، سيجد الكثير منها ملائما مع وظيفته من جهة، ومع العادات والتقاليد والأعراف من جهة أخرى، في المجتمع العربي الإسلامي وهو ما ينطبق بدوره مع الشريعة الإسلامية، فكان ظهور المدخل المنكسر والصحن

[1] عبد الجبار ناجي،مرجع سابق، ص:164.

الوسطي المكشوف لعوامل اجتماعية ترتبط بالسترة وحرمة كشف سكان البيت ولا سيما النساء أمام الغرباء وعابري الطريق[1].

كما أن ظهور بعض المنشآت العامة كالأسواق وإنشائها وفق أسس تتلاءم مع سكان اهل الحي والمنطقة الواحدة تتلاءم مع ظروفهم وعاداتهم الإجتماعية[2]. إذ قسمت شوارع الأسواق حسب اختصاص الحرف فكان السوق العام يحوي إن صح التعبير أسواقا فرعية فنجد شارعا لبيع القماش، وشارعا لبيع الأدوات النحاسية ، وشارعا للصباغين... وهذه السمة لازالت في بعض المناطق إلى غاية اليوم[3].

– ثانيا: أثره على الجانب الثقافي.

بالمقابل نجد أن للمحيط العام الذي يحقق السكينة العامة، والإستقرار الأمني والسياسي في المدينة يبعث على تنشيط الحياة الثقافية فيها، بما تلعبه مؤسساتها الفاعلة من دور ثقافي حضاري متميز فقد قامت الجوامع ودور العبادة بدور محوري في المدينة الإسلامية[4]، منذ اختطاط أول مدينة في الإسلام على يد الرسول عليه الصلاة والسلام، والتي تحول اسمها من يثرب إلى المدينة، فكان لها دور ديني وثقافي، وهو نفس الدور الذي قامت به حواضر المغرب الأوسط من تاهرت إلى القلعة وبجاية وندرومة إلى مدن الدولة الزيانية... ، حيث دخل المغرب الأوسط بتأسيس الدولة الزيانية، عهدا حافلا بالأمجاد في جميع المجالات الحضارية، وخاصة في المجال الفكري، وقد تظافرت عوامل عديدة أدت إلى ازدهار الحركة العلمية خلال هذه الفترة. مثل الاهتمام بالعلوم والآداب وإنشاء المراكز التعليمية، واستدعاء أشهر العلماء للتدريس فيها، وكذلك تقريب هؤلاء العلماء والأدباء إلى مجالسهم وإقامة المناظرات و المناقشات العلمية[5].

---

[1] شريف يوسف، المدن الإسلامية كيف كان تخطيطها وبناؤها، مجلة العربي، العدد 190، الكويت، سبتمبر 1974، ص 74.

[2] ابن حوقل(ت367هـ/977م)، صورة الأرض، دار صادر، ط 02، بيروت، 1938م، ص 88.

[3] مصطفى عباس الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، د ط، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982م، ص 239.

[4] اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت 284هـ/897م)، كتاب البلدان، ط 01، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1988م، ص 108.

[5] الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب، تح محمد حجي، ج 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981، ص 310.

أثر ذلك في تنشيط الحركة العلمية في بلاد المغرب الأوسط، وكان أول من شجع على هذا التطور العلمي يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة الزيانية والذي فتح أبواب بلاطه لجلب واستقطاب رجال العلم الذين تلقوا منه العناية، فأغدق عليهم الأموال والهدايا وشجعهم على التدريس والتأليف، فاستقر الكثير منهم بحاضرة تلمسان مثل " أبو إبراهيم بن يخلف التنسي" (ت 680هـ/1281م)، والذي عد كبير علماء زمانه، بحيث كانت الفتاوى تأتيه من إفريقية وتلمسان إلى بلده تنس، ليجيب عنها[1].

أشارت بعض نصوص المعيار إلى مجموعة من المناظرات والمناقشات العلمية بين فقهاء تلمسان و غيرهم من فقهاء بلاد المغرب، تناولت جملة من القضايا المتعلقة بالفقه والتفسير والتصوف والكلام وغيرها من المسائل الفكرية المطروحة للنقاش والجدل، مما يبين حالة التواصل العلمي بين حواضر بلاد المغرب الإسلامي[2].

و من المسائل التي أثارت نقاشا واسعا وخلافا كبيرا بين أوساط الفقهاء والذي لا يزال قائما في عصرنا هذا: ظاهرة قراءة القرءان جماعة على طريقة " الحزب الراتب "، فقد رغب الله تعالى تلاوة القرءان، فقال تعالى (ورتل القرءان ترتيلا) [3] بينما حذر من هجره وجعله من شكاوى الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ربه يوم القيامة، في قوله تعالى: (وقال الرسول يارب إن قومي اتخذو هذا القرءان مهجورا) [4]، فقراءة القرءان الكريم وتلاوته عبادة من أعظم العبادات وأجلها عند المولى عز وجل، لذلك رتب عليها الأجر العظيم والرضوان العميم[5].

– ثالثا: أثره على الجانب الإقتصادي.

انعكست الخصائص العامة التي امتازت بها المدينة الإسلامية، والتي استمدت من عوامل وشروط اختطاطها، على الحالة الاقتصادية لساكنتها، حيث انتشر الأمن والإستقرار بالمدن الإسلامية بالمغرب الأوسط، و تميز موقع المدينة بقربه للموارد الأولية الاقتصادية المختلفة، وقربها من الطرق

---

[1] نفسه، ص 314.

[2] أحمد بابا التنبكي(ت963هـ/1036م)، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، ج 1-2، ط 01، منشورات كلية الدعوة، طرابلس، ص 306.

[3] (سورة المزمل، الآية 04)

[4] (سورة الفرقان، الآية 03).

[5] في فضل قراءة القرءان أنظر الإمام محي الدين يحي بن شرف النووي (ت676هـ)، رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين، باب فضل قراءة القرءان، دار ابن الجوزي، ط 01، الرياض، 1421هـ، ص 378.

التجارية من جهة ثانية، الديناميكية و الحركية الاقتصادية ونشط سكان المنطقة كل في مجال اختصاصه ورغبته[1].

كما تطورت وازدهرت حياة المدينة، وانتعش نشاط الفلاحة من خلال توفير مياه السقي، والتنافس في مجال خدمة الأرض لدى المزارعين، وتنوعت الحرف من صناعة للجلود، ونجارة للخشب، فن الخطوط و الطرز، نسج الحرير و حياكة القطن و غزل الصوف، ونفس الحال بالنسبة للتجارة إذ عرفت ازهارا و رواجا كبيرين خاصة مع تهيئة المدن بتزويدها بفنادق و أماكن مخصصة لاستراحة القوافل و المسافرين بين المدن و الحواضر، خاصة مع تموقع هذه المدن بالنسبة لطرق التجارة[2].

كل هذ الصفات و المميزات نتجت عن التعاليم التي نص عليها الدين الإسلامي ومقاصده، إذ أنه دين يحث على العمل و الإبداع و الإنتاج، إذ أوجد منظومة جديدة من الوظائف المعمارية الحديثة المستمدة منه والتي لها دلالاتها الاجتماعية والإقتصادية، والمدينة بذلك تصبح جسما واحدا تتكامل فيه الجوانب الاجتماعية والإقتصادية بالجوانب العمرانية، ومن الصعب فصل جانب منها عن الآخر، وكلها ساهمت في تحقيق التكامل بمختلف معانيه الواسعة بين أفراد ساكنة المدينة[3].

من خلال ماسبق يمكن القول بأن المدن بمنطقة المغرب الأوسط عرفت تناغما وتجانسا حضاريا على مر التاريخ، فشكلت لنا صرحا معماريا، شهدت من خلاله هذه المدن تأثرا بالقيم التي جاء بها الدين الإسلامي، من نبذ للعصبية، ومؤآخاة بين الرعية بمختلف أعراقهم، وتعاون فيما بينهم، وتنظيم للمعاملات بينهم...وغيرها من القيم النبيلة، والمقاصد التي أشارت لها الشريعة الإسلامية من حفظ للنفس، و المال، والدين... وغيره.

زيادة على تأثير عادات وتقاليد القبائل المهاجرة للمنطقة من القبائل العربية وطريقة عيشها وتكيفها مع المنطقة، وما وجدته هذه القبائل من أعراف وتقاليد أصلية خاصة بساكنة المنطقة من البربر ومن عاش معهم، الأمر الذي انعكس بدوره على الطابع المعماري لمدن المنطقة، وما يهدف إليه من خدمة لمصالح الساكنة على اختلافها، هذا دون إغفال

[1] شريف يوسف، مرجع سابق، ص:76.

[2] عرفان سامي، نظريات العمارة، مؤسسة طباعة الألوان المتحدة، طبعة خاصة، القاهرة، 1968، ص 128.

[3] علي سيد عباس، أثر البعد الديني على تخطيط المدن والعمارة العربية الإسلامية، مؤتمر الأزهر الهندسي الدولي التاسع، 2008، ص 107.

عامل التواصل والوحدة الجغرافية والطبيعية بين مدن المشرق، ومدن المغرب الأوسط، و كذا الظروف السياسية في بلاد المشرق الإسلامي وانعكاسها على تطور الأحداث ببلاد الغرب الإسلامي، وما لعبه الصراع على السلطة من تحديد لطبيعة العلاقات فيما بينها، فأحيانا تعرف الاستقرار والتعاون، وأحيانا أخرى تعرف الصراع والعداء.

كل هذه المزايا تركت بصمتها على طبيعة مدن المغرب الأوسط، وما سعت لتحقيقه من وظائف سواء ما تعلق منها: بالجانب الاجتماعي من تنظيم للمجتمع، وتقسيم المدينة إلى خطط خاصة بكل قبيلة أو عرش، وتحقيق لمبدأ العدالة والمساواة بين الناس، وتجانس بين أعراف مختلفة أحيانا، ومتشابهة أحيانا أخرى، وتعايش بين أجناس مجتمع المدينة بالمغرب الأوسط على اختلاف أعراقهم، وتحقيق للتكافل والتعاون ما بين أفراد المجتمع الواحد غنيهم وفقيرهم، من خلال العمل على محاربة الفقر وتفعيل لدور الزكاة، والصدقات ونظام الأوقاف...وغير ذلك، وتكامل بين تشكيلات أفراد المجتمع من حيث الوظائف: فالمزارع يوفر مختلف المنتوجات الفلاحية للمستهلكين، والنجار يوفر ما اختص به نشاطه للمستهلكين، وقس على ذلك في مختلف الحرف والصناعات...

أو ما تعلق منها بالجانب الثقافي: من انتشار للمراكز العلمية من جوامع ومساجد وكتتاتيب وأربطة..، وتشجيع الإسلام للعلم وإعلاء منزلة العلماء، واهتمام حكام المغرب الأوسط بالعلم، وعلاقة بعض مدن المغرب بالمراكز الحضارية بالمشرق مثل تاهرت وتلمسان وغيرهما، الأمر الذي نتج عنه ارتفاع المستوى العلمي وتنشيط الحياة الثقافية بالمنطقة.

ونفس المزايا انعكست بدورها على الجانب الاقتصادي، فازدهرت الفلاحة وتنوعت منتوجاتها، وأساليب السقي فيها، ونشطت التجارة في الداخل والخارج، وازدهرت الحرف وتفنن أصحابها فيها من خلال إبداعاتهم، وازدهرت الفنون بمختلف أشكالها من زخارف ورسوم وخطوط عربية ومغاربية وغيرها..، وكل هذه المزايا ساهمت في اعتبار المدينة حاضرة متميزة عن غيرها بمختلف المعايير.

الفصل الثالث:

أثر الإسلام على الجانب المعماري بالمدينة في المغرب الأوسط

- أولا: تخطيط المدن الإسلامية.
- ثانيا: أنواع المدن الإسلامية، وأبرز مظاهرها المعمارية.
- ثالثا: خصائص المدن الإسلامية بالمغرب الأوسط.

من خلال هذا الفصل سأتطرق إلى أثر الإسلام على الجانب المعماري بالمدينة في منطقة المغرب الأوسط، ومقارنته بالمدن السابقة للفترة الإسلامية، والوقوف على اختلاف مستوى المدنية بينها، ويظهر ذلك من خلال إسقاط كل ما نص عليه الإسلام في مجال العمارة، على الطابع المعماري بمدن المغرب الأوسط، وما نتج عنه من تنوع للمدن بحسب طبيعة كل واحدة منها، سواء ما تعلق منها بجانب العمارة، أوما تعلق منها بجانب المقاصد والوظائف المختلفة التي تسعى المدينة لتحقيقها خدمة للصالح العام. حيث ركزت على ثلاث محاور أساسية: يتمثل الأول منها في التطرق إلى الإعتبارات التي ينبغي مراعاتها عند اختطاط أي مدينة من مدن المغرب الأوسط، مع الأخذ بعين الإعتبار العوامل التاريخية والطبيعية في ذلك، وأثر ذلك في ترك الخاصية الإضافية لمدن المغرب الأوسط عن غيرها من المدن الإسلامية بمنطقة المشرق العربي بحكم عوامل التطور، والإسقاط، وطبيعة المنطقة وساكنتها.

أما المحور الثاني فسأتطرق فيه إلى أنواع المدن الإسلامية بالمغرب الأوسط، وأبرز مظاهرها المعمارية من خلال التطرق إلى تصنيف المدن بالمنطقة حسب معايير معينة، ثم التطرق إلى المعالم المعمارية في المدينة بالمغرب الأوسط، بداية بالعمارة الدينية من جوامع ومساجد...، ثم العسكرية من أسوار وأبراج...، ثم المدنية من قصور ومساكن... وغيرها، مع ذكر أمثلة عن كل مظهر منها، والوقوف على دور التخطيط والهندسة المعمارية و دور اليد العاملة المحلية، والمنتقلة من منطقة المشرق وحتى من بلاد الأندلس في إضفاء وإنتاج طابع متميز إشتركت فيه معظم العناصر الهندسية والفنية الزخرفية الإسلامية، وصبغها بالطابع المحلي للمنطقة.

ثم تطرقت في المحور الثالث إلى الخصائص العامة والخاصة التي امتازت بها المدن الإسلامية بالمغرب الأوسط ودورها في تحقيق المقاصد المختلفة التي سعت المدينة لتحقيقها لساكنيها من استقرار وأمن، وحفظ للنفس، والحياة الكريمة من خلال توفير كل ماتتطلبه الحياة من مرافق ومراكز، وتحقيق للتكامل والتعاون بين أفراد المنطقة، وقامت المراكز الدينية في ذلك بدور متمييز، فكانت الحلقة الأساسية في توجيه وتقويم سلوكات الأفراد، وحياة المجتمع الإسلامي بصفة عامة، ومن ناحية أخرى تطرقت إلى خصوصية مدن المغرب الأوسط، وذلك حسب طابعها الطبيعي والثقافي والإقتصادي والمميزات التي انفردت بها المدن الإسلامية عن غيرها من بقية المدن الأخرى.

– أولا: تخطيط المدن الإسلامية.

إن الحديث عن تخطيط المدن الإسلامية في المغرب الأوسط يأخذنا إلى طرح عدة اعتبارات تاريخية بالدرجة الأولى، إذ أن هناك حقيقة ينبغي الإنطلاق منها وهي أن المدن بمنطقة المغرب الأوسط كانت موجودة قبل دخول الإسلام للمنطقة، وغالبها كانت مصنفة كمدن رومانية وتاريخية مرتبطة بالتطور التاريخي للمنطقة، فهذه المدن بعد دخول الإسلام للمنطقة صنفت كمدن أثرية وألحقت بالتراث المادي للمنطقة، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن المدن الإسلامية إذا ما قارناها بمدن الفترة السابقة للإسلام من حيث التهيئة والهندسة، واختطاط شبكات الصرف الصحي، والأرصفة، والطرقات المبلطة والساحات والحدائق..وغيرها فإننا نجدها مدنا لم ترق إلى مستوى مدن الفترة الرومانية، وذلك راجع إلى تأثير العامل الثقافي والحضاري وطبيعة ساكنة المنطقة ومتطلبات معيشتهم واهتماماتهم، إذ غلب عليهم الطابع القبلي البدوي، مقارنة بالموروث الثقافي الروماني، فالحضارة تتشكل من حلقات كل حلقة منها تشكل موروثا ثقافيا حضاريا اجتماعيا له أبعاده المحلية والروحية، وتساهم بدورها في ترك بصمتها وأثرها في تاريخ الإنسانية الحضاري، من خلال اجتهادها وما بنته من معالم معمارية وتراث مادي ولا مادي[1].

وبالمقابل فإن تخطيط المدن الإسلامية بالمغرب الأوسط نجده راعى مختلف هذه الجوانب، وزيادة على ذلك أخذ مرجعيته من سيرة المصطفى عليه السلام عند تأسيسه للمدينة المنورة، واختطاط الجامع بها، واختطاط بقية القطع المخصصة للمرافق المصلحية، وما خصص منها لسكن القبائل والأعراش...وغير ذلك[2]، ومن خلال هذه النواة أخذت الفكرة عند الحكام ومن أوكلت لهم مهمة الإختطاط حسب تطور حركة الفتوحات الإسلامية وطبيعة المجتمعات التي دخلت الإسلام، وما نصت عليه تعاليم الدين الإسلامي في باب المعاملات بين الأفراد، إذ اعتبرت المدينة، المكان الجغرافي الذي تعيش فيه، وتتعايش مجموعة بشرية تحكمها مجموعة من الضوابط المحددة لطبيعة العلاقات فيما بينها، وما لعبه تطور الحياة الاجتماعية، وتلاقح أعراف وثقافات الاجناس التي دخلت الإسلام، وإضافة تراثها وخصائصها الجغرافية والعمرانية و الفنية، فشكلت بذلك نمطا جديدا من المدن اختص جوهرها بالخصائص و التعاليم التي جاء بها الإسلام ومقاصده، إذ أن هذه التعاليم لم تنفي طابع

[1] حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 66.

[2] مُحَمَّد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، دار عالم المعرفة، ط 01، الكويت، 1988، ص 45

الخصوصية والمحلية لتراثها، بل العكس من ذلك، مثل ذلك رافدا مهما في إثراء الحياة المدنية بمدن المغرب الإسلامي[1].

هذه الصفات، أضيف لها الإعتبارات و الشروط التي وجب مراعاتها عند اختطاط هذه المدن، والتي أشار لها المهندسون و الخطاطون و المنظرون في هذا المجال، أمثال الماوردي، وابن الربيع أيضا، فمثلا أشار الماوردي إلى فنون تخطيط المدينة ومعاييرها الجمالية، في سياق نظريته الكبرى " تأسيس الملك وسياسته"، إذ أقر أن تأسيس الملك يكون على الدين، أو المال والثروة، أو على القوة، وذهب إلى أن "تأسيس الملك على الدين" هو أثبتها قاعدة، وأدومها مدة، وأخلصها طاعة[2]. وإذا ما تأسس الملك على الدين، فإن سياسته بعد تأسيسه تشتمل على قواعد أربع وهي: " عمارة البلدان، وحراسة الرعية، وتدبير الجند، وتقدير الأموال"[3].

وكل المقاصد الخمسة التي أشار لها الماوردي و ابن الربيع أيضا نلاحظ أنها تمت مراعاتها في اختطاط المدن، من طلب السكون و الدعة، إلى حفظ الأموال، إلى صيانة الحريم والحرم من انتهاك وذلة، إلى توفير ماتدعو له الحاجة من متاع وصناعة، والتعرض للكسب وطلب المادة، فإن عدم في المدينة أحد هذه الأمور الخمسة فليست من مواطن الاستقرار، ومن خلال إسقاط هذه المقاصد الخمسة على مختلف المدن التي أنشئت أو طبعت بالصبغة الإسلامية نجد أنها تمت مراعاتها عند اختطاط أي مدينة من مدن بلاد المغرب الأوسط بداية من القاعدة الأولى القيروان بالمغرب الأدنى[4].

كما تطرق ابن الربيع إلى شروط اختطاط وعمارة أي مدينة، وحصرها إجمالا في ستة شروط أو قواعد عامة وهي: " أحدها: سعة المياه المستعذبة، والثاني: إمكان الميرة المستمدة، والثالث: اعتدال المكان الموافق للصحة والهواء والتربة. والرابع: قربه مما تدعو الحاجة إليه من المراعي والأحطاب، والخامس: تحصين منازله من الأعداء والذعار. والسادس: أن يحيط به سواد يعين أهله بمواده ". ثم يعقب على ذلك ويقول: " فإذا تكاملت هذه الشروط الستة في إنشاء مصر، استحكمت قواعد تأبيده، ولم يزل إلا بقضاء محتوم، وأجل معلوم ".[5]

---

[1] عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص450.

[2] على الماوردي، مصدر سابق، ص 263.

[3] نفسه، ص 264.

[4] الرقيق القيرواني، مصدر سابق، ص 07.

[5] شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع، مصدر سابق، ص 106.

وعلى هذا الأساس نجد أن مؤسسي الدول التي قامت ببلاد المغرب الإسلامي بداية من الفاتحين الأوائل مرورا بالأغالبة و الرستميين وصولا إلى الزيانيين، أنهم أسسو مدنا تمت مراعات الشروط والعناصر السالفة الذكر في اختطاط واختيار مواقعها، بداية بالعامل الأمني المتعلق بحصانة المنطقة طبيعيا من المخاطر المحتملة سواء كانت طبيعية أو ناتجة عن خطر بشري محتمل[1]، إلى العامل الطبيعي والمتمثل في وقوع المدينة في منطقة معتدلة ذات هواء نقي وتربة صالحة، وقربها من المورد المائي بمختلف أشكاله سواء كان موقع المدينة قريبا من النهر أو الوادي، أو في حالة ما إن كانت بعيدة قليلا عنه، فموقعها ينبغي أن يكون يسمح بإنشاء قنوات تمكن من جريان الماء نحو المدينة[2]، ناهيك عن ما فرضته روابط التواصل كأن تكون على مقربة من طرق المواصلات والتجارة...وغيرها من الإعتبارات[3].

وعلى هذا الأساس فإن المدينة الإسلامية جاءت لتنظم الحياة الاجتماعية والإقتصادية والثقافية التي أملتها عليها الظروف الموضوعية الجديدة والمتمثلة في القيم الحضارية التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف، كما جاءت هذه المدن أيضا لتبرز التخطيط المادي في تحديد الوحدات الأساسية وتطورها بما في ذلك الأرياف، على اختلاف المكان والزمان[4]، وقد لعب الجامع أو المسجد كوحدة عمرانية أساسية في المدينة في المغرب الأوسط دورا محوريا، فرض وجوده كمركز دائم في الإطار المدني، وبالتالي يمكن اعتباره النواة الرئيسية لنشأة المدينة بالمغرب الأوسط[5].

وإذا كان الدور الديني وظيفي في اختطاط المدينة فإن الدور العسكري أو الدفاعي لا يقل أهمية عنه، نظرا للظروف التي عرفها العالم الإسلامي في كل مراحل تاريخه، وخلال هذه المرحلة التاريخية الكبيرة أنشئت مدن من عدم، أي مدن قامت في وسط يخلو من أي آثار عمراني قديم، إضافة إلى المدن الأخرى القائمة على أنقاض عمران قديم، وفي كلتا الحالتين نجد أن الرغبة في الدفاع عنها وعن

[1] محمود شيت خطاب، مرجع سابق، ص 246.

[2] الطاهر الطويل، التطور التاريخي للمدينة بالمغرب الأوسط من النصف الثاني من القرن الأول الهجري إلى القرن الخامس هجري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1428-1429هـ/ 2007-2008م، ص 22.

[3] شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع، مصدر سابق، ص 106.

[4] إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1984م، ص07.

[5] عبد الجبار ناجي، مرجع سابق، ص 53

الموطن الذي يحيط بها جعلها تحصن نفسها بإقامة أسوار دفاعية مما يضفي عليها الطابع العسكري، وكانت القيروان أولى هذه المدن في المغرب الإسلامي[1].

يعتبر إنشاء المدن العواصم تعبيرا عن الإرادة السياسية بصفة عامة وقد يكون تعبيرا عن الرفاهية والإزدهار الذي تتمتع به تلك الدولة أو أخرى، وقد يبرز هذا النمط في إنشاء القصور والإقامات الفخمة، ولطالما كانت تلك المنشآت منطلقا لتاريخ دولة ما وبداية لتاريخها، والأمثلة على ذلك كثيرة يكفي أن نذكر منها مدنا مثل تاهرت وأشير وقلعة بني حماد وبجاية وتلمسان.. والغريب في أمر هذه المدن أنها عرفت في مجملها تدهورا سريعا جعلها تنحدر من أعلى قمة الرقي والإزدهار والقوة، إلى أدنى مراحل الإنحطاط المتمثلة في اندثار معالمها، ومع ذلك فإننا نجد أن من بين هذه المدن، تلك التي قاومت الزمن وأيدي الناس وحافظت على الكثير أو البعض من مظاهرها العمرانية، رغم أنها فقدت صفتها كعاصمة للدولة[2].

ويتجلى ذلك بالنسبة للمغرب الأوسط، من خلال آثار قلعة بني حماد، حيث نلاحظ أنها لم تعد سوى أطلال مدينة حالها حال مدينة، في حين نجد أن مدينة تلمسان وهي تركيب عمراني متميز عن غيره بقيت تصارع الظروف المختلفة، لتوصل إلينا من كل مرحلة من مراحل تطورها، معالم متميزة أيضا[3].

وكعامل آخر، يلاحظ أن توزيع شبكة المدن في المغرب الأوسط يدل على ارتباطها بالطرق الرئيسية، بحيث أن المدن الأولى التي أنشئت قبل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي كانت مركزة في المواطن الواقعة حاليا في الهضاب العليا، وهذا أمر طبيعي، إذ تم التعرف ذلك الوقت على الطريق الرئيسي الممتد من إفريقية إلى المحيط الأطلسي[4]، أما بعد القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي، فإن العوامل الجديدة والطرق البحرية الجديدة، جعلت النشاط العمراني يتحول من منطقة الهضاب العليا إلى السواحل (أي سواحل البحر الأبيض المتوسط)، بواسطة ما أحدث من طرق ما بين المدن الواقعة في الداخل والشريط الساحلي، مثل الطريق من القلعة إلى بجاية، أو من تاهرت إلى تنس وغيره[5].

[1] محمود شيت خطاب، مرجع سابق، ص 247.

[2] عبد الجبار ناجي، مرجع سابق، ص 160.

[3] نفسه، ص 161.

[4] إبن عبد المنعم الحميري، مصدر سابق، ص 164.

[5] عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص 154.

– ثانيا: أنواع المدن الإسلامية، وأبرز مظاهرها المعمارية.

– 01 – أنواع المدن الإسلامية:

انتشرت في بلاد المغرب الأوسط مجموعة من المدن، توزعت عبر مختلف أرجائه، وذلك راجع إلى طبيعة المنطقة واستراتيجية المكان، فقد كانت هناك مدن مركزا للحضارات القديمة، إلا أنه بعد الفتح الإسلامي نشأت مدن جديدة، كما أحدثو في تلك المدن القديمة لمسات للحضارة الإسلامية، وأصبحت هذه المدن حواضر في بلاد المغرب الأوسط، ووصل صداها إلى المشرق الإسلامي، وأصبحت هذه المدن مراكز تجارية كبيرة[1].

زيادة على هذا ومن خلال تطرقنا فيما سبق إلى التعريف بالمدينة الإسلامية، وإلى اختطاط المدن والعوامل المتحكمة فيه، وإلى مراحل تطور المدينة الإسلامية بمنطقة المغرب الأوسط، ومن خلال هذه المحاور يمكن أن نستنتج أنواع المدن الإسلامية، فبحسب الإعتبارات السابقة يمكن تصنيف المدن حسب الموقع الجغرافي لها، فتصنف إلى مدن داخلية مثل المسيلة وتاهرت، أو مدن ساحلية مثل بجاية وتنس، أو مدن صحراوية مثل سدراته، (الواحات حاليا) وغيرها[2]، و قد تصنف المدينة حسب الدور الذي أنشئت من أجله كأن يكون دورا عسكريا أمنيا، ومثاله القيروان بادئ الأمر، إذ أسسها عقبة بن نافع كقاعدة عسكرية للجيوش الفاتحة لبلاد المغرب، ثم سرعان ما عززت بالمرافق المصلحية الأخرى وتحولت لحاضرة ورمز من رموز المراكز الثقافية في المنطقة، و نفس الوصف يطلق على مدن مشابهة لها بالمغرب الأوسط كالقلعة، وتاهرت، ومن خلال تأملنا لمختلف المدن التي أنشئت في المنطقة نقف على حقيقة[3] وهي:

أن الغرض الأول من إنشاء هذه المدن هو غرض أمني عسكري، له علاقة بالظروف السياسية التي عرفتها منطقة المشرق الإسلامي من صراع على السلطة بين الأسر الحاكمة، والمنافسة لها. وما تقتضيه الضرورة من البحث عن مكان حصين آمن، تتحصن به الأطراف الفارة من بطش الحكام في منطقة المشرق[4]، ووجدو في بلاد المغرب الإسلامي ما يبحثون عنه من أمن وبعد عن دار الخلافة بالمشرق، فأسسو مدنا حصينة، سرعان ما عززت بتوفير المرافق المصلحية الأخرى، فتحولت بمرور

[1] عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص 161.
[2] يوسف أبيش، مرجع سابق، ص 21.
[3] محمود شيت خطاب، مرجع سابق، ص 248.
[4] مُحَمَّد بن عميرة، مرجع سابق، ص 109.

الوقت وتوفر الأمن، طبيعة المدينة من وصفها العسكري الأمني إلى الاقتصادي، و اعتبارها مركزا تجاريا من خلال دورها على محور طرق التجارة والمواصلات في المنطقة، سواء كانت طرقا داخلية برية، أو فيما بعد طرقا بحرية[1]، و قد يتعدى وصف المدينة إلى حاضرة بازدهار الحياة الثقافية فيها من خلال دور الجوامع والمساجد، والكتاتيب، والأنشطة العلمية التي تقام فيها، ودور الحكام في الاهتمام بالعلم ورجاله من العلماء وطلاب العلم، وتجهيز هذه المراكز بمختلف المرافق المصلحية الأخرى من توفير للمأكل والمشرب والإيواء للطلبة فيها خاصة القادمين من خارج المدينة، وتوصف المدينة في هذه الحالة بالحاضرة وينعكس ذلك التحضر والرقي على عمارتها وفنونها، ومثالها تاهرت، بجاية، تلمسان وغيرها[2].

– 02 – أبرز مظاهرها المعمارية:

تميزت المدينة الإسلامية بالمغرب الأوسط كغيرها من المدن الإسلامية بمجموعة من المنشآت المعمارية تنوعت على حسب الوظيفة التي تؤديها في المجتمع، فكان منها ماله علاقة بالعمارة الحربية، ومنها ماله علاقة بالعمارة الدينية، ومنها ماله علاقة بالعمارة المدنية التي تؤدي وظيفة اجتماعية و اقتصادية.

– أ – المنشآت الدينية:

– 01 – الجوامع و المساجد:

كان الجامع أو المسجد[3] أول مبنى تشهده المدينة المنورة، العاصمة الأولى للدولة الإسلامية مباشرة بعد وصول النبي مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام مهاجرا من مكة، وشكل هذا الجامع إحدى ركائز

---

[1] إبن عبد المنعم الحميري، مصدر سابق، ص 162.

[2] عبد الجبار ناجي، مرجع سابق، ص 162.

[3] المسجد موضع السجود بالأصل، وصار بالعرف إسما لمكان مخصوص بنية الصلاة. (ينظر ابن منظور جمال الدين، "ت771هـ"، لسان العرب، مر يوسف البقاعي وإبراهيم شمس الدين ونضال علي، الدار المتوسطية، ط 02، تونس، 1426هـ، مج 05، ص 304)، وذكر الزمخشري: "أن المسجد بفتح الميم، وكسر الدال، بيت الصلاة، أما الجامع فهو وصف للمسجد"، وعليه فإن الجامع أو المسجد هو دار للعبادة عند المسلمين، تقام فيه الصلواة الخمس المفروضة وغيرها، وسمي مسجدا لأنه مكان للسجود لله سبحانه و تعالى ، ويطلق على المسجد أيضا اسم جامع، وخاصة إذا كان كبيرا، وفي الغالب يطلق اسم « جامع » لما يجمع الناس لأداء صلاة الجمعة فيه، فكل جامع مسجد وليس كل مسجد هو جامع، وكذلك يطلق اسم مصلى بدلا من اسم مسجد عند أداء بعض الصلوات الخمس المفروضة فيه وليس كلها، مثل مصليات المدارس والمؤسسات وطرق السفر وغيرها. (ينظر أيضا الزمخشري أبو القاسم بن عمر"ت749هـ"، أسس البلاغة، مطبعة دار الكتب المصرية، دط، القاهرة، 1923، ص 77)

بناء مجتمع إسلامي من جميع النواحي الدينية والسياسية والاجتماعية، ويعتبر الجامع أول بناء يؤسس في مركز المدينة الإسلامية، لإقامة الشعائر الدينية، فالمساجد بيوت الله ومواضع العبادة المشهورة بالطهارة، ولم تقتصر وظيفة المساجد على الصلاة فقط بل كانت مركزا للحكم والإدارة والدعوة والشورى[1]، كما كان أيضا محلا للقضاء واقتناء العلم وغير ذلك من أمور الدين. ومن جانب آخر تميزت العمارة الدينية والمساجد خاصة في تخطيطها بالطراز العربي التقليدي بداية وبعد ذلك تأثر بمختلف الزخارف المشرقية والمغربية الأخرى (ينظر الملحق 01)، ومن أبرز المساجد بمنطقة المغرب الأوسط:

أ – مسجد أبو المهاجر دينار:

يعتبر ثاني مسجد في شمال إفريقيا – بعد مسجد القيروان الكبير، الذي بناه القائد الفاتح عقبة بن نافع بها، في فترة الفتوحات الإسلامية –، بناه القائد الفاتح أبو المهاجر دينار مع مجموعة من الصحابة، بمدينة ميلة في سنة 59هـ. بمساحة تقدر 820م، تضم قاعة الصلاة ستة أساكيب بمقاييس مختلفة، وغالبية السواري به دائرية الشكل ومنه المربع أيضا. وقد بني المسجد على أنقاض كنيسة بعد دخول الإسلام للمنطقة[2].

ب – المسجد الجامع بتاهرت:

والذي وصف بالمسجد ذي الأربع بلاطات وهو من أهم المراكز المعمارية الحضارية بالمنطقة، قام بدور محوري من خلال الأنشطة العلمية التي كانت تنظم فيه من مناظرات علمية، ودروس فقهية، ناهيك عن الدور الاجتماعي له[3].

ج – المسجد الأعظم ببجاية:

إذ بناه الأمير الحمادي المنصور وذلك سنة 494هـ/ 1100م، وفي بداية الأمر كان قصرا يطلق عليه إسم " اللؤلؤة "، ثم بعد ذلك حوله إلى مسجد، وكان طول المسجد 220 ذراع، وعرضه 150 ذراع، وله واجهة مزينة بـ 17 عقد وباب كبير على يمينه وعلى يساره ألواح رخامية مزينة بكتابات، وداخل المسجد نجد 32 سارية من الرخام وقبة عظيمة وأرض مفروشة، وجدرانه مغطاة

[1] ابن بطوطة مُحَمَّد بن عبد الله اللواتي،(ت770هـ/1368م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ/1997م، ج 04، ص 324.

[2] ابن عذاري المراكشي، مصدر سابق، ج 01، ص 22.

[3] البكري، مصدر سابق، ص37.

بالزليج، وكان ارتفاع مئذنة المسجد حوالي 60 ذراع، وكان لهذه المدينة بابان من جهة الشرق وآخر من جهة الجنوب، وكان المحراب يحيط به الرخام الأبيض وعليه نقوشات من الآيات القرءانية، وفي مقدمة هذا المسجد نجد المقصورة بابها قرب المنبر[1].

د – المسجد الأعظم بجزائر بني مزغنة:

أسسه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين[2] سنة 460هـ/ 1068م كما يقول الزياني بأنه يوسف بن تاشفين أعوام الستين وأربعة مئة للهجرة، كما نجد البكري يذكر: " مدينة الجزائر ولها أسواق ومسجد الجامع[3] ". ويذكر أن مسجد الجامع شكله وهندسة بنائه مماثلة وكثيرة الشبه لمسجد تلمسان[4] حيث كان بيت الصلاة في هذا المسجد يحتوي على 11 بلاطة عمودية على جدار القبلة تخترقها خمسة أساكيب عرضية، كما يحيط بالصحن 03 مجنبات شرقية وغربية تحتوي كل منها على 03 أروقة تمتد حتى بيت الصلاة، أما الشمالية فإنها تضم إلى رواق واحد، أما عقود المسجد هي عمودية على جدار القبلة من النوع المنفوخ المنكسر، وترتكز هذه العقود كما هو موجود في جامع تلمسان على الدعائم بعضها مستطيل الشكل وآخر مصلب الشكل[5] (ينظر الملحق رقم 02).

و – المسجد الكبير بتلمسان:

يعتبر أيضا من منشآت المرابطين، حيث شيده يوسف بن تاشفين سنة 1475هـ/ 1082م في مدينة تارجرت التي عرفت فيما بعد بمدينة تلمسان، ونسب الجامع إليها إذ يقول البكري على مدينة تلمسان: " ...ولها أسواق ومساجد مسجد الجامع "[6]، وكانت هندسته المعمارية في غاية الجمال ودقة الإتقان، ورأى بعض المؤرخين أن البنية المعمارية لمسجد تلمسان فيها لمسات أندلسية وفنون معمارية قرطبية، بل يرى بعضهم أنهم قلدو جامع قرطبة تقليدا مباشرا وذلك في لوحتي الرخام التين تكسوان واجهة المحراب.، وكذلك سقف المسجد الخشبي شبيه بسطح مسجد قرطبة والبلاط

---

[1] رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، الجزائر، 1397هـ-1977م، ص 208.

[2] يوسف بن تاشفين: هو يوسف بن تاشفين أبو يعقوب أمير المسلمين وملك الملثمين، وهو أول من تسمى بأمير المسلمين، تملك الأندلس واختط مدينة مراكش وبناها، توفي سنة 500هـ. ينظر ابن عماد الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط 01، بيروت، 1410هـ/ 1989م، ج 05، ص 425.

[3] البكري أبوعبيد الله، مصدر سابق، ص 66.

[4] عبد الرحمان بن مُحَّد الجلالي، تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، ط 02، بيروت، 1384هـ/ 1965م، ج 01، ص410.

[5] عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 266.

[6] البكري، المصدر السابق، ص 72.

أيضا، وقد مر هذا المسجد في بنائه بعدة مراحل: الأولى عند بنائه أيام يوسف بن تاشفين سنة 475هـ/ 1082م، والثانية سنة 530هـ/ 1135م عندما رممه على ابن تاشفين[1]، وزينه بالزخارف الرائعة، أما الثالثة فكان عهد يغمراسن بن زيان[2]. وكان المسجد يتكون من مساحة مستطيلة غير منتظمة الأبعاد، وهو ينقسم إلى صحن تحيط به ضالات أكبرها ضلة القبلة أما بيت الصلاة فكان يتكون من 06 أساكيب و 13 بلاط عمودية على اتجاه جدار القبلة وبداخل الصلاة نوعان من العقود ومنها عقود متعددة القصوص وأخرى منفوخة شبيهة بحذوة الفرس، ويتوسط بيت الصلاة بلاط محوري أوسع من بقية البلاطات تقوم عليه قبتان إحداهما فوق أسطوانة المحراب وأخرى شمالا، وسقوف المسجد هياكل تكسوها قراميد الفخار المزلج[3] (ينظر الملحق رقم 03).

- 02 – الربـــط:

تعود المسلمون على الجهاد، وذلك امتثالا لأمر الله ورسوله، وهو ما أقره الشرع من الكتاب والسنة الشريفة من أدلة ونصوص، وتوسعت هذه الصفة مع الفتوحات الإسلامية، وعلى هذا الأساس نجد أن بعض المدن تحولت إلى ربط للمجاهدين والعباد والزهاد[4].

يجمع الرباط على الربط والأربطة، وقد أخذها المسلمون من قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنو اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)[5].

---

[1] علي بن تاشفين: هو علي بن يوسف بن تاشفين البربري تولى بعد أبيه صاحب الأندلس أمير المسلمين ملك المرابطين واعتنى بعلم الرسائل و الإنشاء، وهو من أمر بإحراق كتاب الإحياء وتوفي سنة 537هـ. ينظر شمس الدين الذهبي أبي عبد الله ، سير أعلام النبلاء، تح شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 02، بيروت، 1402هـ/ 1982م، ص 174

[2] علي مُحَمَّد الصلابي، فقه التمكين عن دولة المرابطين، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، ط 01، القاهرة، 1427هـ/ 2006م، ص 184.

[3] عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية، مطبعة المعارف الجديدة، ط 01، الرباط، 1993م، ج 02، ص147.

[4] البهنسي صلاح أحمد، عمارة المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، كلية الآداب، دط، جامعة عين شمس، ص 54.

[5] [الآية 202، سورة آل عمران]

والرباط هو الإقامة على الثغور لجهاد العدو بالحرب ورباط الخيل أي الحصن أو المكان الذي يرابط فيه الجند وكثيرا ما يكون قلعة أو سورا[1] كما أنه يعتبر خط الدفاع الأول، فرباط الخيل هي تسمية جاءت من قوله تعالى: (وأعدو لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)[2].

كما جاء في السنة عن سلمان الفارسي ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإنما تجرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان[3] ".

شهدت بلاد المغرب الأوسط مجموعة من الربط في مختلف مدنها، إلا أنها اندثرت بمرور الوقت ولم يبق لها أثر، ومن أهمها رباط أرزيو[4]، إذ يقول البكري: " وبغرب مدينة أرزيو جبل كبير فيه قلاع ثلاثة مسورة رباط يقصد إليه[5] "، كما كان رباط بمدينة شرشال حين يذكره البكري بقوله:" ...وكانت بمدينة شرشال مبنى ارتدم فيها رباطات يجمع إليها في كل عام خلف كثير[6] "، ومن خلال ما ذكره البكري نجد أن هذا الرباط كان يأتيه الناس وذلك قصد التزهد والدفاع عن المسلمين. وعلى هذا الأساس فإن الأربطة شكلت معلما تاريخيا حضاريا في المنطقة يدعم المقاصد التي جاءت بها الشريعة للحفاظ على الأمن و السكينة العامة بالمدن الإسلامية خاصة تلك المدن التي يقع موقعها الجغرافي على الثغور مع بلاد الكفر[7].

من خلال تطرقنا للربط في بلاد المغرب الأوسط يتضح لنا أن هذه الربط اتخذت نمطا وتصميما واحدا في بنائها وتشييدها، وذلك لتأثرها بالربط الأولى التي أنشأت في إفريقية كرباط سوسة والمنستير، إذ كانت عبارة عن حصون مربعة الشكل وتحتوي على طابقين ، وبها أيضا أبراجا على كل زاوية من أجل المراقبة و الحراسة، إذ نجد أن كل الرباطات اتخذت أغلبها تصميما واحدا[8].

---

[1] ابن منظور، مصدر سابق، ص 958.

[2] [الآية 60، سورة الأنفال].

[3] رواه مسلم، ينظر مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، لبنان، د س ط، الحديث رقم 1913، ص 1520.

[4] مُحَمَّد الامين بلغيث، الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 1406-1407هـ/1986-1987م، ص 35.

[5] البكري، مصدر سابق، ص 70.

[6] المصدر نفسه، ص 82.

[7] حسن باشا، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، ط 01، القاهرة، 1990م، ص 133.

[8] البهنسي صلاح أحمد، مرجع سابق، ص 54.

– ب – المنشآت العسكرية:

يعتبر العامل الأمني وما تطلبه من تحقيق حماية وحصانة المدينة الإسلامية من أهم عناصر إنشاء المدينة، لذلك نجد أن بعض المدن الإسلامية أحيطت بأسوار عالية ومنها ماشتملت على سورين أو ثلاثة وكانت تزود هذه الأسوار بأبراج وقلاع، ومنها من أحيطت بخنادق حسب تموقع كل مدينة[1].

– 01 – الأسوار و الأبراج:

السور عند العرب هو حائط المدينة، وهو أشرف الحيطان[2]، لقوله تعالى: (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة) [سورة الحديد الآية 13]، والسور يعتبر من المنشآت الحربية التي تميزت بها المدن الإسلامية، مدعمة بأبراج للمراقبة، فهو يقوم أساسا على تنظيم عراقيل للأعداء المستهدفين المدينة والوقاية منهم، فالسور إذن يعتبر خطا دفاعيا أول وبالخصوص فترة الفتوحات الإسلامية[3].

وعلى هذا الأساس سنتطرق إلى أهم الأسوار و الأبراج التي شييدت بمدن المغرب الأوسط إذ لم يتردد مؤسسو مدن بلاد المغرب الأوسط من الإستفادة من الأسوار و الأبراج، والتي سنذكر أهمها كسور مدينة أشير، وهو سور حصين بناه بلكين يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي[4] سنة 367هـ[5]. وهناك من المدن من تميزت بسورين نذكر منها سور المسيلة حيث يدور أحدهما عن الآخر فهو سور حصين من طوب وبينهما ماء يحيط بالمدينة[6]، ونجد كذلك سور تلمسان فهو من الحجارة وخلفه سور آخر من الحجارة أيضا وهو محصن ومتقن[7]، وسور مدينة تيهرت، القلعة[8]، وسور بني يزقن بمنطقة مزاب[9]...وغيرها.

---

[1] مُحَمَّد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج 03، دار إحياء الكتب العربية، سوريا، 1963، ص 234.

[2] ابن منظور، مصدر سابق، ج 07، ص 300.

[3] مُحَمَّد عبد الستار عثمان، مرجع سابق، ص 123.

[4] هو بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي أبو الفتوح سيف الدولة مؤسس إمارة الصنهاجية كان من قادة المعز الفاطمي وأبلى في إخضاعه للمغرب، توفي بين سجلماسة وتلمسان سنة 373هـ. ينظر الزركلي، مصدر سابق، ج 02، ص 47.

[5] البكري، مصدر سابق، ص 60.

[6] المصدر نفسه، ص 59.

[7] اليعقوبي، مصدر سابق، ص 196.

[8] ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج 02، ص 87.

[9] يحي بوراس، العمارة الدفاعية في منطقة مزاب (نموذج قصر بني يزقن) (من القرن 10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م) دراسة وصفية تحليلية مقارنة، بحث لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، قسم علم الآثار، إشراف أد علي حملاوي، وأد مُحَمَّد الطيب عقاب، جامعة الجزائر، الجزائر، 2001-2002، ص 65.

إن موقع تأسيس المدن له دور كبير في بناء الأسوار كالتي بنيت على الجبال فنجدها بنيت بالأحجار كسور مدينة شرشال وهو يمتاز بالطول الشاهق بأحجار منحوتة ويبلغ حوالي 08 أميال[1]، وكذلك سور بجاية فهو مبني على جبل طولا وعرضا[2]، ومن الأسوار التي بنيت أيضا بالحجارة سور تيهرت[3]، وهذا ماأكده صاحب الإستبصار: " مدينة تيهرت وهي مدينة مشهورة قديمة كبيرة عليها سور صخر[4] ".

وعلى غرار الأسوار المشيدة بمدن شمال بلاد المغرب الأوسط، نجد الواحات والقصور الصحراوية إذ شيدت بطريقة دفاعية من حيث اختيار موقعها كأن تنشأ على هضبة منيعة، أو من حيث بناء سور يحيط بها و يحصنها، ويدعم بأبراج للمراقبة، ومثال ذلك القصور التي اختطتها قبيلة زناتة مثل: توات، وتمنطيت، ووارکلان، وتيكورارين[5]، وقصور منطقة وادي ريغ، و قصور منطقة مزاب الخمسة وهي: العطف " تجنينت"، بنورة " آت بنور"، بني يزقن " آت إزجن"، امليكة " آت امليشت"، وغرداية "تغردايت"[6]، فقد أنشئت بطريقة دفاعية تستجيب لمبدأ الدفاع عن النفس وحماية الأرواح والممتلكات من الإعتداءات الخارجية التي يمكن أن تهدد سلامتها واستقرارها، وأحيطت بسور منيع مزود بأبراج للمراقبة، يدعم لها الحماية ومثاله سور بني يزقن و باقي أسوار قصور منطقة مزاب[7].

تعتبر هذه الأسوار في أعين المزابيين شيئا لا يمكن المساس به، ولا يمكن لأي شخص مهما كان مستواه الإجتماعي أن يتعرض إلى السور بإحداث ما يمكن أن يؤثر فيه[8].

---

[1] حسن الوزان مصدر سابق، ج 02، ص 34.

[2] الإدريسي مصدر سابق، ج 01، ص 291.

[3] أحمد بن علي القلقشندي (ت821هـ/1418م)، معجم البلدان، دار صادر، دط، بيروت، 1397هـ-1993م، ج 05، ص 111.

[4] مؤلف مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، دط، الدار البيضاء، 1985م، ص 178.

[5] حسن الوزان ، مصدر سابق، ص 133.

[6] يحي بوراس، مرجع سابق، ص 02.

[7] Ravereau (A), Le M'zab une Leçon d'architecture, Sindbad, 2e édit 1981, p 98.

[8] يحي بوراس، المرجع السابق، ص 35.

فكان لحلقة العزابة ومجلس العوام[1] حق التدخل لوضع حد لأي عملية تستهدف الأسوار. وقد حدث أن حاول أحد وجهاء مدينة غرداية توسيع السور الشمالي الغربي، لكن حالت حلقة العزابة دون ذلك ومنعته[2].

فمنطقة مزاب محصنة تحصينا طبيعيا[3]، اجتمع فيها من عنت الحياة و قساوة الظروف الطبيعية ما يطرد الإنسان منها، ولا يقبل عليها إلا إذا كان مظطرا. وقد أشار الجغرافي ابن سعيد المغربي إلى هذه المنعة الطبيعية ولجوء أهل إقليم ورقلة إليها للإعتصام بتلالها الصخرية والإحتماء بين وديانها وشعابها الجرداء عندما ينالهم حيف من الحكام بقوله: " ويمتد في هذه الصحراء جبل من شرقي لمتونة إلى أن يسامت أوداغست، ثم يعرج إلى الجنوب فيبقى بينه وبين زافون خمس مراحل، وبه يهتدون في تلك الصحاري إلا أنهم لا يقربون منه لكثرة ثعابينه، وفي ظهره الشمالي جبل ميزاب وهو عال وعر، يعتصم به أهل واركلان إذا دهمهم جور من ذوي السلطان، وبينهما أربعة أيام[4] ".

كما كان للأسوار دورا كبيرا في حماية المدن وخاصة في فترة انتقال المرابطين والموحدين حيث حرص المرابطون على بناء الأسوار، كما نجدهم قد وضعوا لمستهم في تشييد الأسوار بهمة عالية وذلك رغم تأخرهم في إنشائها في مدن المغرب الأوسط كأسوار مدينة وهران..و غيرها[5]

---

[1] حلقة العزابة هيئة على مستوى كل قصر من قصور منطقة مزاب، تتألف من رجال العلم، وإليها مرجع الفتوى والنظر في الشؤون التربوية والإجتماعية لكل قصر. أسسها الشيخ أبو عبد الله مُحَّد بن بكير الفرسطائي النفوسي حوالي سنة 409هـ/ 1017م، أما هيئة العوام أو ما يعرف كذلك بالجماعة فنظام قديم قدم المجتمعات القائمة على أساس التركيبة القبلية كما هو الأمر بالنسبة لسكان بلاد المغرب، وتتكون من أعضاء يمثلون عشائر وأعراش القصر، على أن تتوفر في العضو المنتخب من قبل عشيرته الخبرة والتجربة الميدانية والثقة، وأن يشهد له بالرأي السديد والخلق الحسن، وقد كان مجلس العوام بمثابة المجلس التنفيذي الذي يقوم بالفصل في الأمور المدنية والسياسية. ولكل من حلقة العزابة وهيئة العوام مجالات للعمل تخولها لهما قوانين ومراسيم تصدر في شكل اتفاقات لها صفة الإلزام. ينظر الجعبيري (فرحات)، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، المطبعة العصرية، تونس، 1975، ص 36، وعن مجلس العوام والإتفاقات، ينظر

- Masqueray (E), Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie (Kabyles du djurdjura, Chaouia de L'aurés, Béni M'zab), thése Lettres,Leroux, Paris, 1886, p 43

[2] Mercier (M), La civilization Urbaine au M'zab, Soubiron, Alger, 2e édit: 1932, p 119.

[3] ابن خلدون، مصدر السابق، ج 07، ص 123.

[4] ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى (ت685هـ/1274م)، كتاب الجغرافيا، تح إسماعيل العربي، مكتبة التجار للطباعة والنشر والتوزيع، ط 01، بيروت، 1980م، ص 114.

[5] مؤلف مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص 182.

- 02 – الحصون و القلاع:

الحصن بالكسر، هو كل موضع حصين لا يوصل إلى جوفه[1]. إذ عملت الظروف على تكريس الضرورة الدفاعية من أجل توفير الحماية بالمجتمع في بلاد المغرب الأوسط الأمر الذي أدى إلى ظهور العديد من الحصون و القلاع التي انتشرت في مختلف المدن التي عرفتها المنطقة، ومنها مدينة تيهرت التي التجأ الرستميون إلى تحصينها كحصن لواتة[2] الذي يقع على نهر مية، كما ذكر اليعقوبي وجود عدد من الحصون بهذه المدينة مثل إسكادال[3]، و تسلونت[4]، كما كان هناك أيضا حصن تالغمنت[5] خارج المدينة حيث كانت الحاجة ملحة إليه أثناء الفتن[6]، كما يوجد حصن في مدينة تنس على البحر إذ يذكر أهل الأندلس كان قديم معمور ويقول البكري: " أن أهل تنس تعاونوا على البنيان واتخذوا الحصن الذي فيه اليوم[7]"، ونظرا لأهمية الموقع واستراتيجيته، فعند تعرض بعض المدن للهجوم والإستيلاء عليها فإنها تلجأ إلى إنشاء الحصون للدفاع عنها، كحصن تاونت وهو حصن منيع في الجبل قد أحاط به البحر من ثلاثة جهات[8]، أما حصن تلمسان الذي يقع على جبلها المسمى الصخرتين وهذا الحصن بناه المصمودي قبل أخذه لتلمسان[9]، كما هناك حصون عديدة تابعة لتلمسان وأشهرها حصن هنين وحصن وهران[10].

---

[1] الفيروزآبادي مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب (ت817هـ/1414م)، القاموس المحيط، تح مُحَمَّد نعيم العرسوسي، مؤسسة الرسالة، ط 08، بيروت، لبنان، 1462هـ-2005م، ص 190.

[2] حصن لواتة نسبة إلى قبيلة لواتة التي عندما تسلطت عليها هوارة ضغنت عن المدينة وخلت عنها ونزلت بحصنها المعروف بحصن لواتة. ينظر ابن الصغير، مصدر سابق، ص 74.

[3] اسكادال: وهو بقبلة تيهرت على مسيرة يوم وأزيد قديما في مجتمع الإباضية. ينظر ابن الصغير، المصدر نفسه، ص 73.

[4] تسلونت: هو على مسيرة أميال من حصن لواتة ومنه مخرج عيون نهر مينة الجاري من قبلة تيهرت كما يعرف أيضا بحصن تاملونت أو تماليت ويقع على طرف لواتة التي نزل به أبو اليقظان أثناء الفتنة بين هوارة ولواتة. ينظر ابن الصغير، المصدر نفسه، ص 93.

[5] تالغمنت: هي القرية المعروفة بتيلغمنت في صحراء المغرب الأوسط. ينظر ابن الصغير، المصدر السابق، ص 94.

[6] فطيمة مطهري، مدينة تيهرت الرستمية دراسة تاريخية حضارية (ق2-3هـ/8-9م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير، تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1430-1431هـ/2009-2010م، ص 214.

[7] البكري، مصدر سابق، ص 61.

[8] ابن أبي زرع علي الفاسي (ت726هـ/1326م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور، دط، الوراقة، الرباط، د س ط، ص 410.

[9] الإدريسي، مصدر سابق، ص 248.

[10] أبي الفداء (ت732هـ/1331م)، تقويم البلدان، دط، دار صادر، بيروت، د س ط، ص 137.

لم تكن الحصون هي الوحيدة في الدفاع وحماية المدينة بل كان بجانبها وجود القلاع التي كان لها دورا هاما في عملية المراقبة و الترصد، وكانت تشيد من الحجارة و الطوب، وهي نصف دائرية، ومن أهم القلاع نجد قلعة بني حماد وهي قلعة عظيمة على جبل يسمى تاقربوست تشبه في التحصين إلى القلعة أنطاكية وهي قاعدة من ملك بني حماد ابن يوسف الملقب بلكين بن زيري ابن مناد الصنهاجي وهو أول من أحدثه في حدود سنة 370هـ، حيث اختطها من أجل التحصين والإمتناع[1]، وهناك أيضا قلعة بشر ابن إرطأة وهي توجد بمدينة مجانة[2].

كما اهتم المرابطون بتشييد القلاع خاصة في المواضع الجبلية وكان لهم سبق في بنائها و منها: قلعة أمرجوا: التي بنيت في عهد على ابن يوسف، حيث تشرف على وادي في ورغة جنوب قلعة بني تاودة، وهي متعددة الأضلاع مستطيلة ويحتوي سورها الخارجي على إثنتا عشرة برج، وبها ثلاثة أبواب في خط دفاعي أمامي أما الباب الرئيسي له ممر متصل بداخله مباشرة[3]. ومن القلاع أيضا قلاع مدينة تيهرت ومنها قلعة بن هرب وقلعة مطيلة المعروفة بتيهرت القديمة[4].

- 03 – الأبــواب:

زيادة على إقامة الأسوار والحصون و القلاع بهدف حماية مدن المغرب الأوسط ولزيادة تقوية حصانتها الدفاعية لجأ بعض الأمراء لوضع وإقامة أبواب على الأسوار، فنجد مختلف المدن في بلاد المغرب احتوت على العديد من الأبواب، ومنها باب ميلة وباب القنطرة وهما أبواب لمدينة قسنطينة[5]، كما سميت أبواب نسبة إلى المدن المتجه إليها مثل باب الصفا وباب الأندلس، وباب المطاحن، وهي أبواب كلها موجودة في مدينة تيهرت الرستمية[6]، ومن الأبواب أيضا الحصينة في منطقة المغرب

[1] ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج 04، ص 390.
[2] البكري، المصدر السابق، ص 145.
[3] عثمان عثمان إسماعيل، مرجع سابق، ج 02، ص 121.
[4] البكري، مصدر سابق، ص 169.
[5] الإدريسي، مصدر سابق، ص 265.
[6] القلقشندي أحمد بن علي، مصدر سابق، ج 05، ص111.

الأوسط أبواب مدينة طبنة[1]، باب الخاقان مبني بالحجر عليه باب حديد وهو سري، وباب الفتح وهو أيضا عليهما باب الحديد وخارجها باب الفتح الكبير[2] بناه عنان عمر ابن حفص. ومن الأبواب أيضا هناك أبواب مدينة تلمسان التي يوجد بها خمسة أبواب منها ثلاثة في القبلة وهما باب الحمام، وباب وهب، وباب الخوجة، أما الجهة الشرقية للمدينة فبها باب العقبة، وفي الجهة الغربية منها باب أبي قرة[3]. إضافة إلى أبواب أرشغون بها باب الفتوح الغربي، وباب الأمير قبلي، وباب المريسة شرقي[4].

- ج – المنشآت المدنية:

تعتبر العمارة المدنية أحد أنواع العمارة الإسلامية التي انتشرت بكثرة في بلاد المغرب الأوسط والتي تشمل القصور، والمساكن، والحمامات، والفنادق والأسواق، حيث شجع أمراء الدول التي قامت به خلال هذه الفترة الحركة المعمارية بهذه المدن وأبدعو فيها فأصبحت مدنا مزدهرة العمران، ومن أهم هذه المنشآت نجد ما يلي:

- 01 – القصور:

إن إنشاء القصور يعتبر تقييما للمستوى الحضاري الكبير للدولة القائمة، وما توصلت إليه من ثراء، فهي سكن خاص بالأمراء والطبقة الأولى إذ نجدهم تفننوا في بنائها وزخرفتها[5]. ولقد امتاز المغرب الأوسط بالعديد من القصور في مختلف مدنه التي شهدت الإستقرار والنشاط الإقتصادي الرفيع مما أدى بالأمراء إلى تشييد القصور، وهذا ما وجد في مدينة تيهرت مثلا، حيث عرفت الأمن والإزدهار، فبنيت القصور التي اتخذها الأئمة الرستميون بيوتا لسكناهم وخاصة في عهد الإمام أفلح[6].

---

[1] طبنة: هي مدينة كبيرة افتتحها موسى بن نصير، ويقال بأن الذي بناها أبو جعفر عمر بن حفص المهلي المهلبي المعروف بهزارمرد ويسكنها العرب والعجم وليس من القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها. ينظر البكري، المصدر السابق، ص51.

[2] المصدر نفسه، ص 51.

[3] نفسه، ص 76.

[4] المصدر نفسه، ص 77.

[5] جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الإقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرن (3-4هـ/9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، د س ط، ص 384.

[6] الإمام أفلح: هو أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم ثالث الأئمة الرستميين من الإباضية في تيهرت بويع بعد وفاة أبيه وعمر بإمارته مالم يعمره أحد ممن كان قبله. ينظر الزركلي، مصدر سابق، ج 02، ص 05.

حيث ظهر التنافس في بناء القصور وهذا حسب ما ذكره ابن الصغير، فابتنى ابان وحمويه القصرين المعروفين لهما بأملاق، وابتنى عبد الواحد قصره الذي يعرف به اليوم وغيره[1].

أما مدينتا القلعة ثم بجاية على عهد الحماديين، فتميزتا بعدة قصور، شيدها الأمراء الحماديون، ومنها قصر الملك، والمنار، والكوكب، وقصر السلام بالقلعة، وقصر اللؤلؤة، وقصر أميمون ببجاية، وفي هذا يذكر صاحب الإستبصار أن ببجاية: " قصور من بناء ملوك صنهاجة لم ير الراؤون أحسن منها ولا أنزه موضعا "، ومن روائع هذه القصور يذكر صاحب الإستبصار أيضا أن: " فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديدة وأبواب محزمة المحنية ومجالس المبنية المقرصنة مبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها قد نقشت أحسن نقش وأنزلت بالذهب واللازورد وقد كتبت فيها الكتابات المحسنة وصورت فيها صور الحسنة فجاءت من أحسن القصور وأتمها منتزها وجمالا[2] ". كما اشتهرت كذلك كل من مدينة طبنة، وجزائر بني مزغنة وتنس..وغيرها من مدن المغرب الأوسط بمجموعة من القصور التي نالت شأنا كبيرا، وتفنن منجزوها في بنائها واختيار مواقعها وسط البساتين، مع قربها من موارد الماء، خاصة وأنها تحتاج إلى موارد أولية ومادية خاصة، استطاعت هذه المدن توفيرها من خلال مكانتها الاقتصادية في تلك الفترة[3].

أما أشير فقد تأثر أمراؤها بنو زيري بالخلفاء الفاطميين حيث طلب من صاحب أشير ببناء المنازل والقصور فكان فيها قصر زيري بن مناد[4]، والذي كان بنيانه من الحجر[5]، وكذلك مدينة المسيلة التي وصل فيها المعمار درجة من الرقي إذ أقام بنو حمدون قصورا فخمة شبيها ابن هانئ بقصور العراق[6].

---

[1] ابن الصغير، مصدر سابق، ص 52.

[2] مؤلف مجهول، الإستبصار، مصدر سابق، ص 130.

[3] ابن حوقل، مصدر سابق، ص 78.

[4] زيري بن مناد: هو زيري بن مناد الحميري الصنهاجي جد المعز بن باديس، أول من ملك من بيته وهو الذي بنى أشير وحصنها، أعطاه المنصور تيهرت، توفي سنة 360هـ. ينظر شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط 02، بيروت، لبنان، 1410هـ- 1990م، ج 08، ص 142.

[5] جودت عبد الكريم يوسف، مرجع سابق، ص 386.

[6] هادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، دار الغرب الإسلامي، ط 01، بيروت، لبنان، 1992م، ج 02، ص 92.

أما في مدينة تلمسان فقد شيدت عدة قصور تميزت بجمالها ورونقها، فأنشأ المرابطون قصر تاقرارت الذي يعرف بالقصر القديم وهو قرب المسجد الأعظم[1]، كما شهدت مدينة تلمسان تطورا هائلا في العمران خلال العهد الموحدى حيث أن ولاة الموحدين صرفو الأموال في عمرانها وبناء القصور بها، كما أن هناك قصورا بنيت من طرف المرينيين بعد استيلائهم عليها[2].

- ب - المساكن:

تعتبر المساكن من أهم البنايات الإجتماعية في المدينة، وهي وعاء الحياة والنشاط الاجتماعي فيها، وهي انعكاس لها في تخطيطها وإنشائها[3]، لهذا تعبر المنازل عن حضارة المدينة، إذ يقول ابن خلدون: " أن بناء واختطاط المنازل إنما من منازع الحضارة التي يدعو إليها الترف[4] "، ولقد اختلفت هذه المساكن من منطقة إلى أخرى حسب الظروف الطبيعية وكذلك الأحوال المادية لأهلها ولكن نجدها متشابهة بصفة عامة[5].

كانت المنازل تبنى حول المساجد في حلقات متحدة ومتلاصقة وهذا ما نجده في معظم مدن بلاد المغرب كالقيروان وفاس وتيهرت ومراكش وغيرها، حيث كانت المنازل تتميز بالإتساع وتتألف من طابق أرضي أو أكثر، كما أن مختلف هذه المنازل مصطفة وتتكون من عدة حجرات واسعة منها المخصصة للعائلة، إضافة إلى مواضع الحيوانات كالإسطبل إلى جانب وجود بئر لتوفير الماء[6]، وهذه من الخصوصيات والحاجيات التي يتطلب توفرها في المسكن، وكانت مساكن المغرب الأوسط لها عاملين يحددان طرازهما وأثاثهما ويتمثلان في التراث المتوارث عبر الأجيال والمستوى الحضاري الذي بلغه المسلمون عبر مختلف المراحل التاريخية[7].

[1] عثمان عثمان اسماعيل، مرجع سابق، ج 02، ص 161.

[2] يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، وزارة الثقافة، دط، الجزائر، 2007، ص 24.

[3] بالمداني نوال، المدينة بالمغرب الأوسط من خلال المصادر الأدبية خلال القرن 3-4هـ، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة وهران، 2005-2006م، ص 47.

[4] ابن خلدون (عبد الرحمان)، مصدر سابق، ج 01، ص 426.

[5] جودت عبد الكريم يوسف، مرجع سابق، ص 386.

[6] إبن عذاري، مصدر سابق، ج 04، ص 398.

[7] جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 387.

تميز بعض المنازل بالمغرب الأوسط بأسقفها الخشبية فبمدينة تيهرت، كان بيت الإمام يعقوب ابن أفلح من خشب[1]، كما كانت سقوف مساكن تلمسان هي كذلك من الخشب، حيث كان ابن أبي زرع يفضل استعمال خشب الأرز، وهو أطيب خشب الأرض، حيث العود منه في سقف البيت يعمر ألف سنة لا يعفن ولا يسوس[2].

- ج - الحمامات:

تعتبر الحمامات من العناصر الهامة في المدينة الإسلامية وذلك باعتبارها إحدى المظاهر الواضحة في المجتمع الإسلامي[3]، إذ أن إنشأها حاجة مرتبطة بدعوة الإسلام إلى النظافة والتطهر وكذلك إلى عدم قدرة عامة الناس على تضمين منازلهم حمامات خاصة، ومن هنا كثرت الحمامات في المدن الإسلامية[4]، ولقد انتشرت الحمامات بكثرة في بلاد المغرب الأوسط، حيث كان هناك نوعان من الحمامات، حمامات طبيعية بها عين مياه حارة وبني عليها ليستحم فيها[5]، و النوع الثاني ما كانت تسخن مياهه، وهو منتشر بكثرة في بلاد المغرب الأوسط، كمدينة تيهرت التي كان فيها اثنتي عشرة حماما، وكذلك حمامات قلعة بني حماد، التي كان فيها غرفة مخصصة لتدفئة المياه وبها أساطين وأنابيب لتوصيل المياه الساخنة[6].

يرجع عدد الحمامات وكثرتها إلى حجم المدينة، فالمدن الكبيرة فيها العديد من الحمامات كتلمسان مثلا، و كانت الحمامات تتكون من قاعات باردة وأخرى حارة وهي أوسع وأكبر وتفصل بينهما أروقة[7]، ودائما ما تكون هذه القاعات على شكل مستطيل كحمامات مدينة تيهرت وأغلب

---

[1] يعقوب بن أفلح: هو يعقوب بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم أمير إباضي من آل رستم، بايعه فريق من أصحابه في تيهرت بالإمامة وكان من الفقهاء، نعته الباروني بالعلامة. ينظر الزركلي، مصدر سابق، ج 08، ص 196.

[2] ابن أبي زرع علي الفاسي، مصدر سابق، ص 386.

[3] حسن باشا، مرجع سابق، ص 165.

[4] محمد عبد الستار عثمان، مرجع سابق، ص 221.

[5] القزويني (زكريا بن محمد)، مصدر سابق، ص 273.

[6] DE BEYLIE, KALAA DE BENI HAMMEAD, PARIS, 1909, P 66.

[7] موساوي عربية، الحمامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني، رسالة ماجستير في علم الآثار، جامعة الجزائر، 1990م-1991م، ص 81.

الأحيان وجدت هذه الحمامات في المناطق التي تحتوي على وفرة المياه، إذ يقول ابن حوقل: " لسكان تاهرت مياه كثيرة تدخل على أكثر دورهم[1] ".

كان نظام بناء الحمامات يحتوي على قاعة رئيسية خاصة بنزع الملابس وبها توجد أعمدة وهناك قاعتان أخريان إحداهما بالماء متوسط الحرارة، والأخرى من ماء شديد الحرارة، أما بالنسبة للسقوف كانت على هيئة قبو نصف دائري وفيها فتحات صغيرة يدخل منها الضوء[2].

– د – الأسـواق:

إعتاد المسلمون أن يقيمو الأسواق في المدن التجارية الهامة حيث وجدت بكثرة وسط التجمعات السكانية ويخصص لها مكان، وتعتبر الأسواق مراكز النشاط التجاري، فإنشاؤها في المدن الإسلامية هو محور النهضة العمرانية لأن المدن تتفاضل بالأسواق وكثرة الأرزاق ومن هنا فإن الإزدهار الاقتصادي ينعكس على ازدهار الأسواق وعمارتها[3].

كانت معظم الأسواق مبلطة أو يبنى على جانبيها أفريزان يمشي عليه الناس في زمن الشتاء، إذا لم يكن السوق مبلطا، ويصف المقريزي هذه الأسواق بأنها مغطاة بالسقائف وبعضها يضاء ليلا ونهارا بالقناديل لأن الضوء لا يصل إلى داخلها[4].

وكانت هذه الأسواق كثيرا ما نجدها قريبة وتحيط بالجامع، وكانت أسواق المدن في مبدإ أمرها عبارة عن أسواق أسبوعية تقام في أيام معينة في الأسبوع، وهذا ما نلاحظه في معظم المدن بالمغرب الأوسط وأحسن مثال عنها مدينة تيهرت وتلمسان، ونفس الحال في كل من تونس فاس ومراكش، وبأسواق تيهرت أسواق أطلق على بعضها أسماء أشخاص، مثل سوق بن جبلة وسوق إبراهيم وسوق بن وردة[5].

أما أسواق مدينة بجاية فهي كثيرة منها السويقة والتي تعني السوق الصغيرة وهي بناحية باب تاطنت التي مر بها الخليفة الموحدي عبد المؤمن وأمر بشراء جميع الدكاكين التي بالسويقة وأوقفها

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 86.

[2] زكي مُحَمَّد حسن، في الفنون الإسلامية، دار الرائد العربي، دط، بيروت، لبنان، 1401هـ-1981م، ص 120.

[3] مُحَمَّد عبد الستار، المرجع السابق، ص 228.

[4] القزويني (زكريا بن مُحَمَّد)، مصدر سابق، ص 277.

[5] ابن الصغير، مصدر سابق، ج 02، ص 50.

عليهم[1]، وقد كانت أسواق مدينة بجاية جميلة ومنسقة أحسن تنسيق[2]، كسوق الصوف وسوق القيصرية وسوق باب البحر، وتنوعت أسواق بجاية ما جعلها ملتقى تجاريا هاما[3].

- هـ – الفنـــادق:

يوجد بجانب الأسواق، نجد بجانبها الفنادق (الخانات)، والتي هي مكان لخانة التجار الأجانب ودوابهم، والتي كانت تتكون من غرف متعددة وصحن مكشوف ومخازن، وخصصت هذه الفنادق للتجار الغرباء، فكانت أشبه بالأسواق الكبيرة، وكانو يضعون بضائعهم في أسفلها وينامون في أعلاها ويغلقون غرفهم بأقفال رومية، ويطلق عليها بالفنادق أو المخازن[4]، وقد عرفت الفنادق التخصص كفندق البياض وفندق الكتان وفندق الملح وغيرها[5]، فيذكر ابن حوقل: " وفنادق يسكنها التجار، فيقصد كل فندق بما يعلم أنه يغلب لي أهله من أنواع التجارة"[6].

إرتكزت هذه الفنادق في المدن التي شهدت تجارة مزدهرة ورخاء اقتصادي، ونجد من بين هذه الفنادق بمدن أخرى فنادق جزائر بني مزغنة[7]، التي كثر عدد التجار الأجانب الواردين إليها، فكانت تجارتها مربحة وأسواقها قائمة[8]، إضافة إلى فنادق مدينة تيهرت التي أتتها الوفود من مختلف الأمصار والآفاق وأنواع التجارة[9]، وتلمسان التي كان فيها فنادق على النمط الإفريقي منها اثنان لمقام التجار جنوة والبندقية[10].

---

[1] المراكشي (عبد الواحد بن علي) (ت647هـ/1250م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار نموذجية المطبعة العصرية، ط 01، بيروت، 1426هـ/2006م، ص 170.

[2] حسن الوزان، مصدر سابق، ص 277.

[3] أمينة بوتشيش، بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع الهجريين، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، 1428-1429هـ/2007-2008م، ص 69.

[4] حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ج 03، ص 377.

[5] الزكرشي، (أبو عبد الله مُحَمَّد) (ت932هـ/1447م)، تاريخ دولتي الموحدية والحفصية، تح مُحَمَّد ماضور، المكتبة العتيقة، ط 02، تونس، 1966، ص 117.

[6] ابن حوقل ، مصدر سابق، ص 362.

[7] حسن الوزان، مصدر سابق، ج 02، ص 37.

[8] الإدريسي، مصدر سابق، ص 117.

[9] بالمداني نوال، مرجع سابق، ص 55.

[10] حسن الوزان، مصدر سابق، ج 02، ص 19.

– ثالثا: خصائص المدن الإسلامية بالمغرب الأوسط.

إن الحديث عن خصائص المدن بالمغرب الأوسط بصفة عامة، والمدن الإسلامية بصفة خاصة، يفرض علينا مراعاة مجموعة من الإعتبارات التي أثرت بدورها على مزايا وخصائص تلك المدن، والتي سأحاول إيجازها في ما يلي:

من هذه الإعتبارات أن مدن المغرب الأوسط، تأثرت بخصائص المدن الإسلامية بالمشرق عموما، وتميزت عنها بالخصوصية الجغرافية والتاريخية للمنطقة، وطبيعة السكان الأصليين لها، وتعايشهم مع الأجناس الأخرى الوافدة للمنطقة[1]، ومن الإعتبارات أيضا: ما تعلق منها بالجانب التاريخي والأثري، ومنها ما تعلق منه بالجانب الطبيعي والجغرافي، ومنها ما تعلق منه بالجانب السياسي والأمني العسكري، ومنها ماله علاقة بالرصيد الحضاري، الذي تتفاعل فيه مجموعة من القيم، منها ماله علاقة بالجانب الديني والثقافي والفني، ومنها ماله علاقة بالجانب البشري والإجتماعي، وكل هذه العوامل انعكست بدورها على مكانة المدينة اقتصاديا[2].

تنوعت مدن المغرب الأوسط بتنوع طبيعة وزمن تشكلها، فنجد منها:

المدن الأثرية القديمة، وغالبا ما كانت مدنا (ساحلية)، أو قريبة من الساحل، بحكم أن المدن والحواضر قديما وحتى حديثا، كانت تقام إما على ضفاف الأنهار، أو السواحل مثلا، ومثالها مدينة بونة، وتنس.. فهاته المدن كانت موجودة قبل عملية الفتح الإسلامي، وكان مصيرها هو تكييفها وتهيئتها، حسب ما دعت إليه تعاليم الدين الإسلامي في مجال العمارة والعمران، وإضفاء وإضافة الطابع الإسلامي عليها، وكان من أبرز معالمه الطابع المعماري الذي ظهر في جوامعها ومساكنها وقصورها وأسواقها ...وغيرها من المعالم، دينية كانت أم مدنية أو حتى عسكرية[3].

كما وجدت المدن الداخلية التي هي واقعة جغرافيا على خط الفتوحات الإسلامية من ناحية الشرق (القيروان)، إلى سواحل المحيط الأطلسي بالمغرب الأقصى، مرورا بالمغرب الأوسط، ومدنه الداخلية مثل مدينة ميلة، طبنة، المسيلة، أشير...وغيرها[4]، إذ تعمد الفاتحون ومن جاء بعدهم بزمن

---

[1] عثمان عثمان اسماعيل، مرجع سابق، ج 01، ص 144.

[2] مُحَمَّد عبد الستار عثمان، مرجع سابق، ص 19.

[3] مُحَمَّد معتصم، المدينة الإسلامية وخصاصها، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الإجتماعية، جامعة قطر، العدد 02، 1400هـ-1980م، ص227.

[4] جودت عبد الكريم يوسف، مرجع سابق، ص 345.

قريب، أن يؤسسوا مدنا محصنة من هجمات الأعداء المسيحيين، تقوم بدور متميز في تثبيت الفتح الإسلامي بها، من خلال نشر الأمن والسكينة، وإقامة المراكز الدينية، والعلمية، على خطى تأسيس القيروان، كأول وأكبر قاعدة ببلاد المغرب، من قبل القائد الفاتح عقبة بن نافع رحمه الله، وجعل المنطقة حاضرة تضاهي حواضر بلاد المشرق الإسلامي[1].

بعدها لعبت التطورات السياسية التي عرفتها منطقة المشرق الإسلامي، وصراع الأسر الحاكمة فيها على السلطة، ومواقفها تجاه معارضيها، دوره في اتخاذ بلاد المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة، مكانا ملائما للفارين من بطش السلاطين، فأنشئت مجموعة من المدن، غالبا ما اتخذت عواصم لدول قامت في المنطقة، مثل تاهرت عاصمة الدولة الرستمية[2].

وعليه تميزت المدن الإسلامية بالمغرب الأوسط بمجموعة من الخصائص تمثلت في:

– 01 – حسن اختيار المواقع البرية في بداية الأمر:

ثم بعد استتباب عامل الأمن والاستقرار، والقرب من طرق المواصلات الداخلية، التوجه نحو التقرب من المنافذ الساحلية واتخاذ مدن استراتيجية، تدعم وتكمل المدن العواصم الداخلية، وينطبق هذا الوصف على مختلف المدن التي قامت ببلاد المغرب الأوسط[3].

– 02 – تأثير الدافع من إنشاء المدينة على اختيار موقعها:

وهنا نلاحظ أن العامل الأمني كان حاضرا بقوة، في مختلف المدن التي أنشئت بالمغرب الأوسط، بهدف تحقيق حصانة طبيعية للمدينة أولا، ثم وفرة مواد البناء، وصلابتها من صخور ومقالع حجرية قريبة منها، وارتفاع لموقع المدينة، كي يبعد عنها المخاطر الطبيعية، والبشرية كترصد الأعداء بها، وكشف مخاطرهم عن بعد، عن طريق فعالية أبراجها في الترصد للمخاطر، وقربها في نفس الوقت، من الأراضي الصالحة للزراعة، إذ يسهم ذلك في ضمان مصدر رزق لساكنيها، وتحقيق ضمان قوتهم، وفي نفس الوقت اختيار صفة توسط مكان المدينة قدر الإمكان، وقربه من طرق المواصلات البرية، وحتى البحرية منها[4]، مع مراعات إضفاء الصفة القدسية للمدينة، من خلال الإهتمام بالمراكز الدينية

[1] محمود شيت خطاب، مرجع سابق، ص 173.

[2] عبد الجبار ناجي، مرجع سابق، ص149.

[3] مُحَمَّد معتصم، مرجع سابق، ص 226.

[4] الماوردي (أبو الحسن على)، مصدر سابق، ص 263.

والحضارية فيها، وتنشيط الحياة الثقافية والعلمية فيها، واعتبارها مركز إشعاع حضاري، يحقق صفة التواصل بين المدينة، وبقية الحواضر الأخرى مشرقا ومغربا[1].

– 03 – حجم المرافق وتعداد سكانها:

إذ وصفت المدن الإسلامية بالمغرب الأوسط بكثرة سكانها، وتجمعهم في شكل منظم، ومرافقها انطلاقا من كتابات الرحالة و الجغرافيين الذين زارو تلك المدن، وذلك راجع لكبر حجم هذه المدن، وما وصلته من قمة التنظيم والرفاهية لساكني المدينة، وذلك مقارنة بغيرها من المناطق[2].

– 04 – تميز منشآت المدينة بمجموعة من المظاهر المعمارية ومنها:

– أ – اختطاط منظم للمباني والشوارع:

إذ كانت مباني المدينة متقاربة وشوارعها الفرعية ضيقة، والرئيسية منها واسعة، وكثيرا ما كانت توقد فيها القناديل، لأن ضوء الشمس يصل إليها بنسب قليلة نتيجة تطاول العمران بها، وكثيرا ما تصطف دكاكين الحرفيين على جوانبها، كما تظلل تلك الشوارع، ناهيك عن ما ينبعث من هذه الشوارع، من روائح تختلف باختلاف السلع التي تباع في محلاتها المتراصة على الجانبين، ومنها روائح التوابل التي كانت تملاء جو المكان[3].

– ب – تشييد الأسوار والقلاع:

إذ جعل العامل الحربي، السور من أهم عناصر المدينة بالمغرب الأوسط، لما يوفره من حصانة لها، تدرأ عنها المخاطر، وزودت هذه الأسوار ببوابات ضخمة، وأبراج وشرفات اتخذت شكل القلاع لتحصين أكثر للمدينة[4]، أما خارج أسوار المدينة، فغالبا ما يجتمع حوله من لم يقدر على توفير الشروط الضرورية للعيش داخل المدينة، وبالتالي تتكون عن هذا الظرف، إنشاء تجمعات سكنية في الخارج، وغالبا ما تأخذ إسم الربض، وهي أيضا تكون ناتجة عن تضخم عمران المدينة، مما يؤدي إلى هذا التوسع[5].

---

[1] محمد معتصم، مرجع سابق، ص 231.

[2] حسن الوزان، مصدر سابق، ج 02، ص 21.

[3] جودت عبد الكريم يوسف، مرجع سابق، ص 339.

[4] يحي بوراس، مرجع سابق، ص 34.

[5] Letourneau, (Roger), Les villes musulmanes de L'Afrique du nord, La Maison des Livres, Alger,1957, p 103.

– ج – مركزية الجامع أو المسجد:

إقتداء بنشأة مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام، حيث يعد المسجد أهم عنصر يتوسط المدينة، نظرا للدور المحوري الذي يقوم به في مجال العبادة، والقضاء، والتعليم...وغيرها، وقد كان المسجد من أول المعالم التي حرص المسلمون الفاتحون على وجودها في البلاد التي تم فتحها، ومنها تطورت وظيفة المسجد[1].

– د – وجود الخانقاة والأربطة:

حيث كانت لها أغراض حربية دفاعية، وتتخذ في نفس الوقت كمجالس للذكر والتصوف[2].

– هـ – دار الإمارة (قصر الإمارة) وما يلحق بها من حدائق:

تعتبر من أهم المعالم بالمدينة بالمغرب الأوسط، وكانت تواجه المسجد، ويحيط بها وبالمسجد مساكن الجند في كثير من الأحيان، وقد عرفت هذه المساكن بالقطائع أو الخطط، وكان الهدف من إحاطة مساكن الجند لدار الإمارة، تأمين حكام المسلمين، وتحقيق الاستقرار لحكمهم[3]، وقد ألحقت بالقصور الحدائق، وقد تفنن المسلمون في زراعتها، واستطاع المسلمون أن يطورو هذه الحدائق وبساتينها، بطريقة جعلت البساتين في المدن الإسلامية، يطلق عليها البساتين الإسلامية لما تميزت به من مزروعات وتنظيم[4].

– و – قرب السوق من المسجد:

حيث كان بالمدينة سوق رئيسي، وأسواق فرعية تسد احتياجات السكان اليومية، وحول الأسواق تمتد الأزقة والشوارع، التي تصطف على جانبيها دكاكين ذات واجهة مفتوحة، تضم طوائف الصناع الذين يمارسون شتى الحرف كالنسيج و الحفر على النحاس...وغيره، وقد كان لهذه الطوائف أثرها في إعطاء المدينة الإسلامية بالمغرب الأوسط طابعها المتميز، بتأثيرها على إدارة المدينة ونظامها الاجتماعي من خلال نشاط المحتسب فيها، ولم يكن بالمدينة الإسلامية فصل بين النشاط الديني والدنيوي، وكل ذلك مرده امتثال العامة، لتعاليم فقه المعاملات والشريعة الإسلامية[5].

---

[1] مُحَمَّد عبد الستار عثمان، مرجع سابق، ص45.

[2] المقدسي (مُحَمَّد)، مصدر سابق، ص 202.

[3] عبد الجبار ناجي، مرجع سابق، ص 149.

[4] عبد المنعم ماجد، مرجع سابق، ص 96.

[5] جودت عبد الكريم يوسف، مرجع سابق، ص 384.

– ز – اختطاط منظم للحرف والوحدات الإقتصادية:

حيث تختلف مواضع النشاط الاقتصادي، باختلاف أنواع الصناعات والحرف، فالصناعات أو الحرف، قد تجد توزيعا معماريا وعمرانيا إما داخل أسوار المدينة أو خارجها[1]، فكلما كانت الصناعة أو الحرفة تلحق الضرر بالساكنة، فيختار لها موضعا لا يؤثر في طبيعة المدينة، وهكذا تنتشر هذه الصناعات في أماكن بعيدة عن الأماكن الآهلة بالسكان، لتستقر إما بالقرب من الأبواب أو في المكان الذي يمكن من تدفق المياه الملوثة خارج المدينة، سواء بالقرب من المجرى المائي، أو بالقرب من خندق أسس لهذا الغرض، فصناعة الجلود مثلا هي من بين الأنواع الصناعية التي غالبا ما تكون بالقرب من الأسوار، وكذلك الحال بالنسبة لمعاصر الزيتون وغيرهما[2].

– ح – وجود الحمامات العامة:

حيث أن الحمامات ليست من ابتكار المسلمين، ولكنها أخذت عن الشعوب التي سبقتهم، وكل ما حدث بعد الفتح، أن أخذت هذه الحمامات الطابع الإسلامي، فأزيلت منها الصور والتماثيل[3]، وكانت هناك آداب معينة في دخول الحمام، وقد كان يمنع من دخولها، ذوو الأمراض المعدية، وبذلك شكلت الحمامات مرفقا عاما من مرافق المدن بالمغرب الأوسط[4].

خلاصة لما سبق ذكره في هذا الفصل نقول بأن دخول الإسلام لبلاد المغرب الأوسط، وما حملته تعاليمه السمحاء، تركت أثرها على التركيبة البشرية لساكنته، على اختلاف انتماءاتهم العرقية، بحكم أن تعاليم الإسلام لاتفرق بين شخص وآخر، كما ظهر ذلك جليا على الطابع المعماري للمدن التي أنشئت، أو هيئت حسب ماقتضته تعاليم الشريعة الإسلامية من ضوابط – في مختلف معالمها المعمارية من جوامع وقصور وحدائق ومساكن...وغيرها –، من اختيار لمواقعها، وتحقق لشروط اختطاطها، مثل اختيار الموقع الطبيعي لها، من حيث الهواء النقي، وتوفر الموارد الأولية الإقتصادية للأنشطة بها، وحصانة ومناعة للمنطقة، من المخاطر الطبيعية والبشرية المحتملة، وسياسية كتمحورها بالنسبة للكيانات والدول المجاورة لها، وما لعبه هذا التمحور من حيث بناء علاقات تعاون من جهة، أو علاقات صراع بينهما... وغيرها من العوامل التي روعيت عند اختطاط المدن.

---

[1] مُحَمَّد عبد الستار عثمان، مرجع سابق، ص229.

[2] جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 258.

[3] حسن باشا، مرجع سابق، ص 164.

[4] عبد المنعم ماجد، مرجع سابق، ص 170.

تنوعت المدن التي أنشئت ببلاد المغرب الأوسط، حسب طبيعة الهدف من إنشائها من ناحية، وحسب ما يقدمه موقع المدينة من وظيفة، فتنوعت المدن مابين مدن داخلية أي مدن موجودة على مستوى الخط الجغرافي لعملية الفتح الإسلامي من ناحية الشرق (القيروان) إلى سواحل المحيط الأطلسي غربا، وتميزت هذه المدن بمجموعة من المزايا، تتصدرها ميزة تحقق الحصانة والمناعة الطبيعية للمدينة، من أي خطر محتمل (خاصة الهجمات الصليبية)، في حين وبمرور الزمن، وتطور تلك المدن المنشأة، ظهرت الحاجة للإلتفات إلى المدن الواقعة على السواحل، كمواقع مدينة بونة، وتنس وبجاية وغيرها، باعتبارها مدن واقعة على الواجهة الساحلية، وتعتبر مركزا أساسيا لتفعيل حركة التجارة عن طريق الطرق التجارية البحرية، تكمل ما كانت تحققه الطرق البرية من دور اقتصادي واستراتيجي.

تنوعت معالم العمارة الإسلامية بمدن المغرب الأوسط، فخلقت لنا مظهرا متميزا، اشتركت فيه المعالم الفنية والزخرفية الوافدة من المشرق الإسلامي، وأثريت بإبداعات ساكنة المنطقة من المغاربة، على اختلاف انتماءاتهم العرقية، فتركت بصمة إيجابية في مجال عماراتها، من مراكز دينية كالجوامع والمساجد والمدارس القرءانية والربط..، ومنشآت حربية كالأسوار والأبراج، والحصون والقلاع ..، ومنشآت مدنية، من قصور ومساكن وأسواق وحمامات وحدائق..وغيرها، فشكلت رصيدا حضاريا ميز تراث المنطقة، وطبعها بالخصوصية المغاربية، وشكل إضافة متميزة للحضارة الإنسانية عامة.

تمتعت مدن المغرب الأوسط بمجموعة من المزايا، تشكلت من خلال الروافد الحضارية العربية الإسلامية الأمازيغية في المنطقة، وعمل كل رافد منها على تكيفه وفق ما نصت عليه تعاليم الإسلام من مقاصد وضوابط، تجاه الفرد مع ربه، وتجاه الفرد مع غيره من البشر، سواء كانو مسلمين أم غير ذلك، وتجاه الكائنات الأخرى بما فيها الوسط الذي يعيش فيه، فظهرت هذه الخصائص في مجموعة من الصفات التي تحقق ظهورها في مدن بلاد المغرب الأوسط من خلال:

الموقع الإستراتيجي لمختلف المدن ببلاد المغرب الأوسط، والملائم من حيث المناخ والهواء النقي، نظافة للمدينة وشوارعها، حصانة للمدينة من المخاطر المحتملة، سكينة وهدوء وراحة، واستقرار للساكنة فيها، تحقق للأمن الغذائي بها، ومصدر قوت ساكنيها، تعايش واحترام وتكامل بين أفرادها، حسن الإختطاط للخطط المشكلة في المدينة، للمراكز الدينية والمساكن والمرافق الخدماتية الأخرى، مع تنظيم عمل مصالحها، ومراقبته وإبعاد الأذى المحتمل من بعضها على الساكنة فيها، إزدهار وإثراء المراكز العلمية والثقافية، ودور العبادة كالجوامع والمساجد، من خلال الاهتمام بها وبرجالها من طرف الحكام، والإهتمام بضمان حقوق الأفراد المقيمين بالمدينة، والسهر على مراقبة أداء أكمل، للواجبات

من طرف أفرادها، من خلال نشاط الأشخاص المكلفين بذلك (نشاط المحتسب مثلا)..، وغيرها من الصفات والخصائص التي ميزت المدينة بالمغرب الأوسط عن غيرها من المناطق.

الخاتمة

خـــــاتمـــة

في ختـام هذا البحث المتعلق بـ: أثر الإسـلام عـلى المـدينـة بالمـغرب الأوسـط، يمكـن أن أقدم ملخـصا عـامـا للموضـوع وفق ما يلي:

أثر الإسلام على تشكلة المدينة بالمغرب الأوسط إلى حد كبير، جعل هذه المدينة تصطبغ بصبغة لؤلؤية فنية، تتميز عن غيرها من المدن والحواضر، إذ شكلت نواة تناسقت فيها مجموعة من الجوانب الفنية والمعمارية، تجسدت في عدة مظاهر عمرانية اختلفت وظائفها ومقاصدها باختلاف التركيبات البشرية المتكونة منها والأهداف الساعية إلى تحقيقها، فكانت فيها النواة الرئيسية المتمثلة في الجامع، فشكلت بنية حضارية اجتماعية تكاملت فيما بينها من حيث تقديم الخدمات والوظائف سواء فيما بينها، أو ما خلفته بعدها، كتراث مادى ولامادي، بحكم قواعد البقاء والفناء، وهو ما يندرج ضمن سنة الحياة.

قام الفاتحون المسلمون الأوائل بجهود جبارة في هذا المجال، كان بدايتها مع إختطاط مدينة القيروان، كقاعدة جمعت بين مجمل صفات المدن الحواضر، (من خصائص عسكرية، حضارية ثقافية، دينية معمارية)، نتج عنها تحول القيروان إلى حاضرة مغاربية تضاهي حواضر الشرق كبغداد والكوفة والبصرة والفسطاط وغيرهم.

شهدت مدن بلاد المغرب الأوسط محطات هامة تطورت عبرها حسب نوع المنطقة والمدينة فصبغت بصبغة الحضارة الإسلامية المبنية على التسامح والتعايش والإحترام للغير، ولأهل الذمة واعتقاداتهم ومراكزهم التعبدية، كما اختلفت طبيعة مصلحة بناء المدينة، كأن تكون سياسية، أوعسكرية، أوإقتصادية، أوثقافية، وكل هذه الأسباب يمكن إسقاطها على حواضر كل من الدولة الأغلبية، والرستمية، والحمادية، والزيانية بالمغرب الأوسط.

تميزت المدينة الإسلامية بمجموعة من الخصائص الفنية والمعمارية، ومنها:

– تميزت المدينة الإسلامية بالمغرب الأوسط بالبساطة واقترانها بالحياة العادية لساكنة المنطقة من خلال ما أشار إليه مجموعة من الباحثين في ميدان العمارة، لامن حيث الأشكال والمخططات الهندسية، ولا من حيث الوظائف الاجتماعية، وتطورت مع مرور الزمن، ومع التفاعل والتواصل الذي حدث بين مهندسي، وفناني وزخرفيي، وبنائي حواضر المغرب الأوسط، والمناطق المجأورة والمعاصرة لها.

– مراعاتها لخدمة الوظائف المختلفة كالتعليمية، إذ زودت الأربطة والمدارس بقاعات ومراقد للراحة، للطلبة الوافدين من خارج المدينة على سبيل المثال، والإجتماعية كالتكافل الاجتماعي من خلال نشاط الأوقاف وتنظيم بيت المال وموارده من زكاة وعشور وغنائم حرب، وصرفها على الفقراء والمحتاجين.

برزت مجموعة هامة من المنشآت المعمارية في بلاد المغرب الأوسط عبر مختلف الدول والحقب الزمنية التي تعاقبت عليه، تنوعت بين منشآت لها علاقة بالجانب الديني مثل الجوامع والمساجد، والربط، ومنشآت لها علاقة بالجانب العسكري مثل الأسوار والأبراج، والحصون والقلاع، ومنشآت لها علاقة بالجانب المدني مثل القصور، والأسواق، والفنادق وغيرها من المنشآت المعمارية التي انتشرت بالمنطقة.

– مراعات الإعتبارات والوظائف العلمية الثقافية والدينية للمدينة، من خلال اهتمام الدولة وحكامها بالعلم والعلماء وإكرام طلبة العلم وتشجيعهم والإهتمام بمراكزها. كما أثر الإسلام على الجانب الاجتماعي، والثقافي، والإقتصادي في المدينة بالمغرب الأوسط، من خلال إسقاط مبادئ الشريعة الإسلامية ومقاصدها على ما تحقق منها اجتماعيا، ثقافيا، وإقتصاديا، وهو الهدف الذي حرص عليه أولوالأمر عند اختطاطهم لتلك المدن على تحقيقه.

مرت المدينة الإسلامية بمراحل تطورت من خلالها عبر الفضاء الجغرافي لبلاد المغرب عامة، والمغرب الأوسط خاصة، بداية من القاعدة الأولى وهي مدينة القيروان مرورا بالحواضر والمدن التي اختطت في كل من الدول التي عرفتها المنطقة من دولة الأغالبة إلى بنورستم بتيهرت، وبنوزيري بالقلعة، وبنوحماد ببجاية، إلى بنوزيان بتلمسان، حيث ثمنت هاته الحواضر الأسس والقواعد الأساسية التي تمت مراعاتها في اختطاط أول مدينة بالإسلام. والإعتبارات الأمنية الإستراتيجية التي أملتها الظروف المحيطة بهاته الدول وحواضرها، دون إهمال عامل التواصل مع الحواضر الأخرى ودور الرحلات العلمية في إضفاء مسحة فنية حضارية معمارية على المنطقة، خلقت لنا حواضر ميزت بلاد المغرب الأوسط عن غيرها من الحواضر سواء من خلال هندسة معالمها المعمارية، أووظائفها الاقتصادية والإجتماعية وهو ما يعتبر إضافة إلى تاريخ العمارة الإسلامية.

أثر الإسلام على الجوانب الاجتماعية والثقافية والإقتصادية بالمدينة في المغرب الأوسط، والذي ظهر في جملة من الصفات والملامح التي ميزت المدينة، والبداية بالملامح الاجتماعية: ومنها تقسيم المدينة إلى خطط لكل مرفق، وتجانس مجموعة من القبائل والأعراش بمختلف انتماءاتهم العرقية في

المدينة، والأجانب معهم من أهل الذمة بصفة تجار أورهبان، وتحقق مجموعة من المبادئ والقواعد السامية كالمسأواة بين الرعية والعدالة والإنصاف بينهم، وتنظيم حياة المجتمع.

تظهر الملامح الثقافية من خلال: الاهتمام بالمراكز العلمية ورجالها، ومن ذلك إنتشار المراكز العلمية من (جوامع، مساجد، كتاتيب..)، وتشجيع الإسلام للعلم، وإعلاء مرتبة رجاله، واهتمام حكام المغرب الأوسط بالعلم ورجاله، ومراكزه، وماتركه عامل العلاقات بين مدن الغرب الأوسط بغيرها من مراكز المشرق الإسلامي، وبالنسبة للتأثير الإقتصادي فيظهر من خلال إنتشار حالة الإستقرار التي ساعدت على تطور الأنشطة الاقتصادية كالفلاحة وخدمة الأرض والإهتمام بسبل السقاية والمزارعة، تنظيم نشاط الحرف والصناعات، وتنظيم هذه الصنائع وتوزيعها على الأحياء تقليدا لمدن المشرق، وإضافة المسحة المحلية عليها.

أثر الإسلام على الجانب المعماري بالمدينة في المغرب الأوسط من خلال جملة من المظاهر، يتصدرها مسألة تنظيم الإختطاط اقتداءا باختطاط الرسول عليه الصلاة والسلام للمدينة المنورة، تليها مراعاة خصوصية الموقع والمكان الذي بدوره أثر على نوعية المدينة، فظهرت المدن الساحلية، المدن الداخلية، المدن العسكرية كالفسطاط مثلا، المدن الحواضر كالقيروان، وبعدها تيهرت، ثم تلمسان حيث جمعت مابين مجمل الخصائص الدينية، الثقافية، والتجارية ناهيك عن دور توطين ظهور مجموعة هامة من المعالم المعمارية سواء كانت دينية كالجوامع والكتاتيب والربط، أوحربية كالقلاع والحصون، أومدنية كالقصور والمساكن والأسواق والحماماامات والحدائق وغيرها، وقدتميزت المدن بالمسحة الإبداعية لساكنة المغرب الأوسط، والذين عملوعلى ترسيخ الخصائص التي تمتاز بها منطقتهم كاستعمالهم للمواد المحلية في الزخرفة، والبناء، وإعطاء فنون العمارة والزخرفة طابعا محليا مغاربيا، ومثاله الخط المغاربي، وإستعمال مواد البناء المحلية.

لتكون هذه الدراسة لبنة في مجال البحث العلمي، ونقطة نهاية من بداية، لدراسات مستقبلية في هذا المجال.

والله ولي التـوفيـق.

الملاحق

الملحق 01[1]

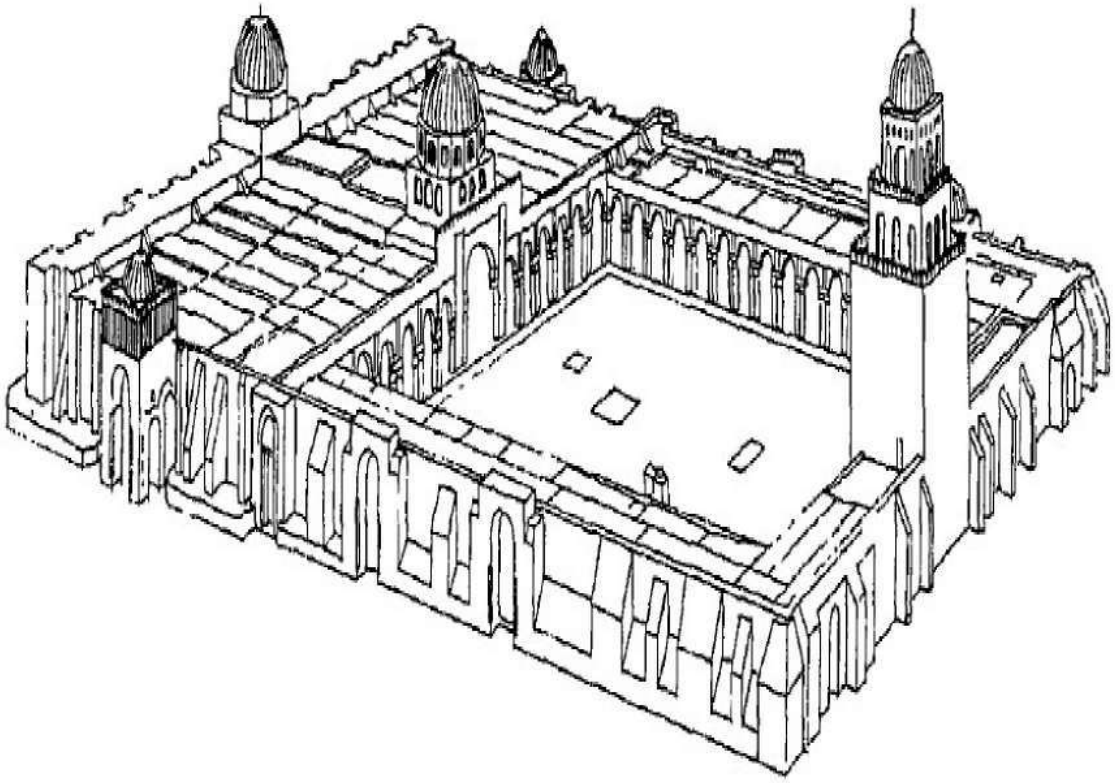

منظر عام لمسجد القيروان

[1] إسماعيل حداد مُحَمَّد حمزة، مجمل في الآثار والحضارة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، د س ط، ص 842.

الملحق 02 [1]

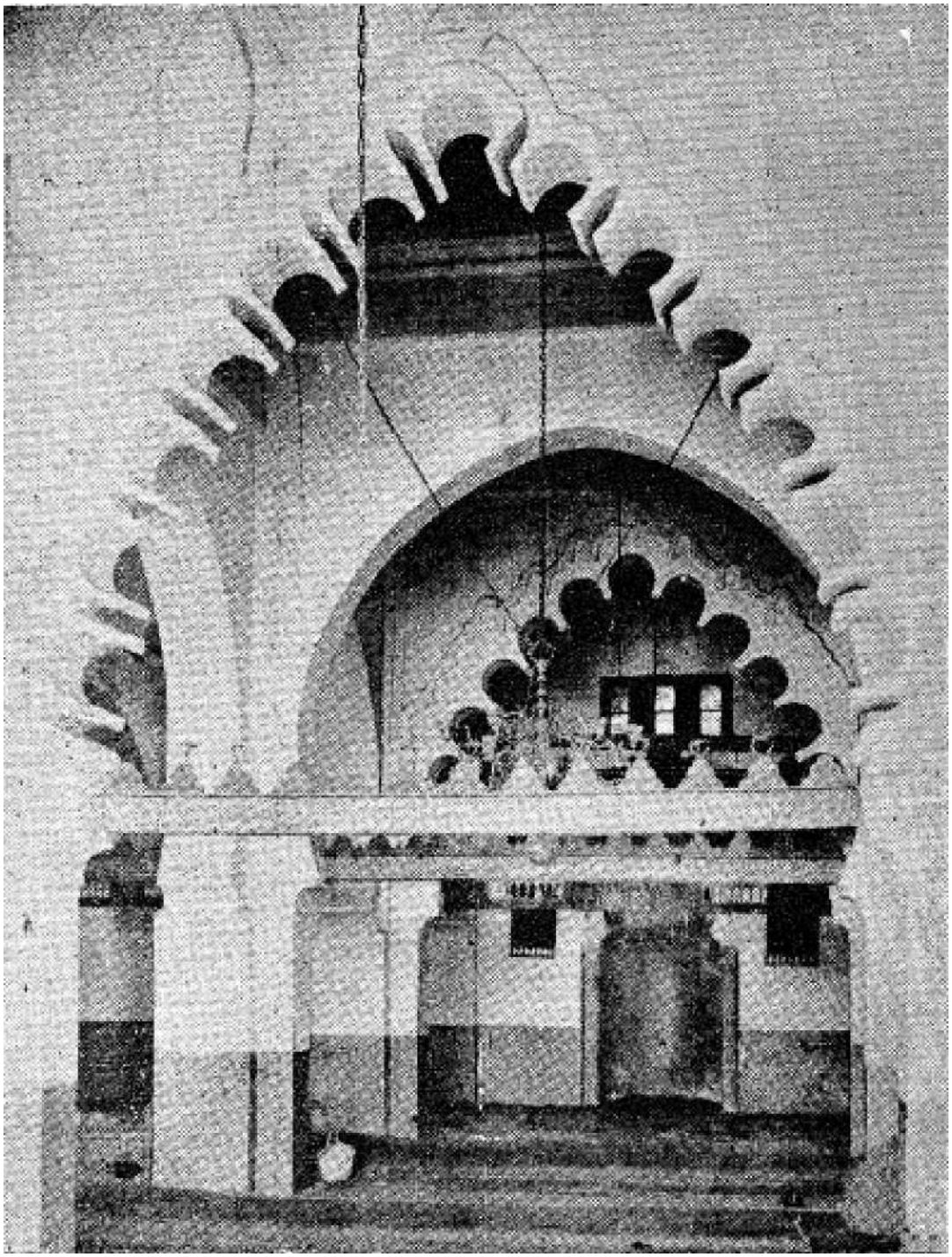

البلاط الأوسط للمسجد الجامع الكبير بالجزائر

[1] بالباس ليوبولدوتوريس، الفن المرابطي والموحدي، تر سيد غازي، دار المعارف، ط1، مصر، 1391هـ-1981م، ص 85.

الملحق 03[1]

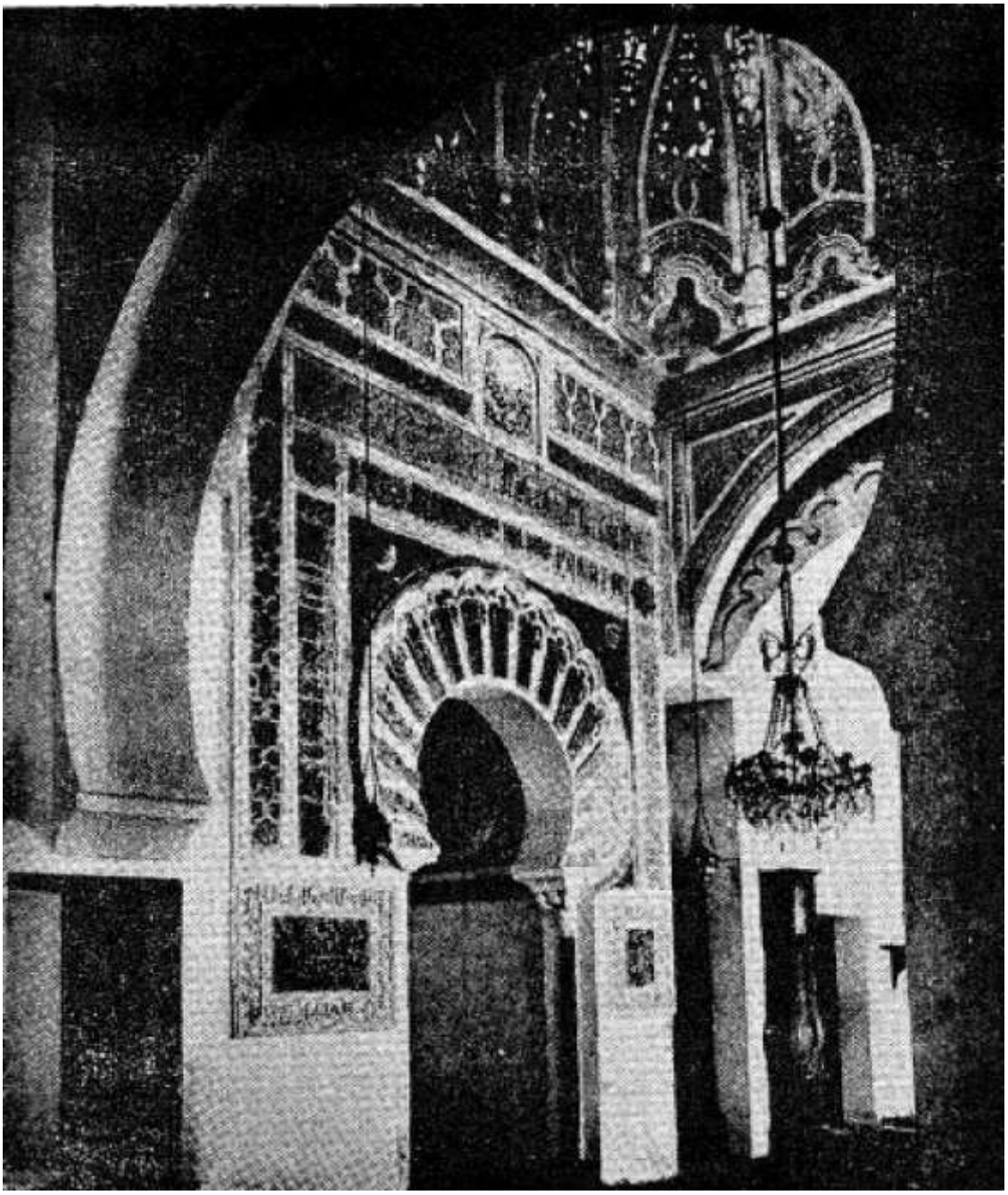

محراب مسجد الجامع بتلمسان

[1] بالباس ليوبولدوتوريس، مرجع سابق، ص77.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

– القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

– الحديث الشريف

أولا : المصادر

-01 – ابن أبي دينار، المؤنس في الأخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، ط 01، تونس، 1276هـ.

-02 – ابن أبي زرع علي الفاسي (ت726هـ/1326م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور، دط، الوراقة، الرباط، د س ط.

-03 – إبن الأثير(555هـ-630هـ)، الكامل في التاريخ، تح أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط 01، بيروت، لبنان، 1407هـ-1978م، مج 03.

-04 – ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح مُحَمَّد ناصر وإبراهيم بحاز، دط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1405هـ-1985م.

-05 – ابن بطوطة مُحَمَّد بن عبد الله اللواتي، (ت770هـ/1368م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، دط، الرباط، 1417هـ/1997م، ج 04.

-06 – ابن حزم الأندلسي أبومُحَمَّد بن علي، جمهرة أنساب العرب، تح عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار المعارف، ط 05، القاهرة، 1919م.

-07 – ابن حوقل(ت367هـ/977م)، صورة الأرض، دار صادر، ط 02، بيروت، 1938م.

-08 – ابن خلدون أبوزيد عبد الرحمان بن مُحَمَّد (ت808هـ/1405م)، ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، دط، بيروت، لبنان، 1421هـ-2001م، ج 06.

-09 – إبن دقماق إبراهيم بن مُحَمَّد، الإنتصار لواسطة عقد الأمصار، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، دط، بيروت، د س ط.

-10 – ابن سعيد المغربي أبوالحسن علي بن موسى (ت685هـ/1274م)، كتاب الجغرافيا، تح إسماعيل العربي، مكتبة التجار للطباعة والنشر والتوزيع، ط 01، بيروت، 1980م.

-11 - ابن شاهين، زبدة كشف المماليك، تح: رافايسية، طبع باريس، 1894.
-12 - ابن عذاري (ت695هـ-1295م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ج 01.
-13 - ابن منظور جمال الدين،»ت771هـ"، لسان العرب، مر يوسف البقاعي وإبراهيم شمس الدين ونضال علي، الدار المتوسطية، ط 02، تونس، 1426هـ، مج 05.
-14 - أبي الفداء (ت732هـ/1331م)، تقويم البلدان، دط، دار صادر، بيروت، د س ط، ص 137.
-15 - الإدريسي أبوعبد الله مُحَمَّد بن إدريس (ت562هـ/1166م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، د ط، القاهرة، 2002، ج 01.
-16 - البكري أبوعبيد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/1094)، المسالك والممالك، تح كمال طلبة، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م، ج 02.
-17 - البلاذري أحمد، فتوح البلدان، شركة طبع الكتب العربية، ط 01، القاهرة، 1319هـ-1901م.
-18 - التنبكي أحمد بابا (ت963هـ/1036م)، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، ج 1-2، ط 01، منشورات كلية الدعوة، طرابلس.
-19 - الجلالي عبد الرحمان بن مُحَمَّد، تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، ط 02، بيروت، 1384هـ/ 1965م، ج 01.
-20 - الحموي ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، دط، بيروت، لبنان، د س ط، ج 02.
-21 - الحميري عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، ط 02، مكتبة لبنان، 1984.
-22 - الدرجيني أبوالعباس أحمد بن سعيد (ت670هـ/1271م)، طبقات المشايخ بالمغرب، تح إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974، ج 02.
-23 - الدمشقي ابن عماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط 01، بيروت، 1410هـ/ 1989م، ج 05.
-24 - الذهبي شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط 02، بيروت، لبنان، 1410هـ- 1990م، ج 08.

-25 – الذهبي شمس الدين أبي عبد الله، سير أعلام النبلاء، تح شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 02، بيروت، 1402هـ/ 1982م.

-26 – الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، دط، بيروت، لبنان، د س ط، ج 06.

-27 – الزكرشي، (أبوعبد الله مُحَمَّد)(ت932هـ/1447م)، تاريخ دولتي الموحدية والحفصية، تح مُحَمَّد ماضور، المكتبة العتيقة، ط 02، تونس، 1966.

-28 – الزمخشري أبوالقاسم بن عمر"ت749هـ"، أسس البلاغة، مطبعة دار الكتب المصرية، دط، القاهرة، 1923.

-29 – العمري شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله (ت749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح إبراهيم صالح، المجمع الثقافي، دط، الإمارات العربية المتحدة، د س ط، ص 22.

-30 – الغبريني أحمد أبوالعباس، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح عادل نويهض، منشورات دار الأفلاح الجديدة، ط 02، بيروت، 1979.

-31 – الفيروزآبادي مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب (ت817هـ/1414م)، القاموس المحيط، تح مُحَمَّد نعيم العرسوسي، مؤسسة الرسالة، ط 08، بيروت، لبنان، 1462هـ-2005م.

-32 – القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، دط، بيروت، د س ط.

-33 – القشيري مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، لبنان، د س ط.

-34 – القلقشندي أحمد بن علي (ت821هـ/1418م)، معجم البلدان، دار صادر، دط، بيروت، 1397هـ-1993م، ج 05.

-35 – القيرواني الرقيق، تاريخ أفريقية والمغرب، تق وتح وتع مُحَمَّد زينهم مُحَمَّد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ط 01، القاهرة، 1414هـ-1994م.

-36 – المالقي مُحَمَّد، في آداب الحسبة، تح حسن الزين، مؤسسة دار الفكر الحديث، بيروت، لبنان، 1987.

-37 – المأوردي على (ت 450هـ)، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، تح محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية، دط، بيروت، د.س.ط.

-38 – المراكشي (عبد الواحد بن علي)(ت647هـ/1250م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار نموذجية المطبعة العصرية، ط 01، بيروت، 1426هـ/2006م.

-39 – المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة بريل ليدن، ط: 02، د.م.ط، 1906.
-40 – المقريزي، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، د د ن، طبعة بولاق، القاهرة، 2002، ج 02.
-41 – النووي محي الدين يحي بن شرف (ت676هـ)، رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين، باب فضل قراءة القرءان، دار ابن الجوزي، ط 01، الرياض، 1421هـ.
-42 – الوزان حسن، وصف إفريقيا، تر مُحَّد حجي ومُحَّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط 02، بيروت، 1989، ج 01.
-43 – الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتأوى علماء افريقية والأندلس والمغرب، تح مُحَّد حجي، ج 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981.
-44 – اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت 284هـ/897م)، كتاب البلدان، ط 01، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1988م.
-45 – بن أبي الربيع شهاب الدين أحمد، سلوك المالك في تدبير الممالك، تح: عارف أحمد عبد الغني، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دمشق، 1996.
-46 – قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق مُحَّد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، دط، العراق، 1981.
-47 – مؤلف مجهو ل، الإستبصار في عجائب الأمصار (كتاب مراكشي من ق6هـ/12م)، دط، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م.

ثانيا : المراجع

-48 – ابن الأحمر إسماعيل أبوالوليد، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تق وتح وتع هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، ط 01، مصر، 1421هـ/2001م.
-49 – إسماعيل عثمان عثمان، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية، مطبعة المعارف الجديدة، ط 01، الرباط، 1993م، ج 02.
-50 – البارودي رضوان، دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، د ط، مصر، 2007م.

-51 - البهنسي صلاح أحمد، عمارة المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، كلية الآداب، دط، جامعة عين شمس.

-52 - الجعبيري (فرحات)، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، المطبعة العصرية، دط، تونس، 1975.

-53 - الدبوإبراهيم، الضمان الاجتماعي في الإسلام، دار المناهج، ط 01، عمان، الأردن، 1417هـ-1998م.

-54 - الدراجي بوزياني، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1993.

-55 - الدوري عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مطبعة المعارف، ط 03، بغداد، د س ط.

-56 - الرفاعي أنور، الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والإجتماعية والاقتصادية والفنية، دار الفكر، دط، بيروت، 1973.

-57 - الصلابي علي مُحَمَّد، الدولة الأموية، دار المعرفة، ط 02، بيروت، لبنان، 1429هـ-2008م، مج 01.

-58 - الصلابي علي مُحَمَّد، فقه التمكين عن دولة المرابطين، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، ط 01، القاهرة، 1427هـ/ 2006م.

-59 - العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، الشركة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1983.

-60 - العربي إسماعيل، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1984م.

-61 - العربي إسماعيل، عواصم بني زيري، دار الرائد العربي، د ط، بيروت، 1984م.

-62 - الموسوي مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، د ط، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982م.

-63 - النعيمي عبد القادر، الدارس في تاريخ المدارس، فهرسه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط 01، بيروت، 1410هـ-1990م، ج 03.

-64 - الهادي روجي ادريس، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12، تر حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط 01، بيروت، لبنان، 1992م، ج 01.

-65 - باشا حسن، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، ط 01، القاهرة، 1990م.

-66 - بن عميرة مُحَّد، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في كتابات المؤرخين الفرنسيين، الدار الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، د س ط.

-67 - بورويبة رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، الجزائر، 1397هـ-1977م.

-68 - بوعزيز يحي، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، منشورات anep، ط 01، الجزائر، 2002.

-69 - بوعزيز يحي، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، وزارة الثقافة، دط، الجزائر، 2007.

-70 - جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الإقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرن (3-4هـ/9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، د س ط.

-71 - حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية، دار الحضارة، ط 01، الجزائر، 2007.

-72 - حداد مُحَّد حمزة إسماعيل، مجمل في الآثار والحضارة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، د س ط.

-73 - حسن زكي مُحَّد، في الفنون الإسلامية، دار الرائد العربي، دط، بيروت، لبنان، 1401هـ-1981م.

-74 - حسن علي ابراهيم، التاريخ الإسلامي العام، مكتبة النهضة المصرية، دط، القاهرة، 1972.

-75 - حسنة عمر عبيد، نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ط 01، قطر، 1405هـ.

-76 - دبوز مُحَّد علي، تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب العربية، دط، سوريا، 1963، ج 03.

-77 - روجي إدريس هادي، الدولة الصنهاجية، دار الغرب الإسلامي، ط 01، بيروت، لبنان، 1992م، ج 02.

-78 - سالم عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شياب الجامعة، دط، ، الإسكندرية، 1999م.

-79 - سامي عرفان، نظريات العمارة، مؤسسة طباعة الألوان المتحدة، طبعة خاصة، القاهرة، 1968.

-80 – شيت خطاب محمود، قادة فتح المغرب العربي، دار الفكر للطباعة والنشر، ط 07، 1404هـ- 1984م، ج 01.

-81 – عاشور سعيد عبد الفتاح، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، 1957.

-82 – عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين، دار منشأة المعارف، دط، الإسكندرية، د س ط، ج 02.

-83 – عبد الطيف عبد الشافي مُحَمَّد، العالم الإسلامي في العصر الأموي، دار السلام للطباعة والنشر، ط 01، القاهرة، 1429هـ- 2008م.

-84 – عثمان مُحَمَّد عبد الستار، المدينة الإسلامية، دار عالم المعرفة، ط 01، الكويت، 1988.

-85 – غانم إبراهيم البيومي، الفنون في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط 01، بيروت، 1438هـ- 2017م.

-86 – فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية عمرانية إجتماعية إقتصادية، دار موفم للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2002.

-87 – لقبال موسى، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 02، الجزائر، 1981.

-88 – ليوبولدوتوريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي، تر سيد غازي، دار المعارف، ط1، مصر، 1391هـ-1981م.

-89 – ماجد عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلوالمصرية، ط: 03، القاهرة، 1973.

-90 – متز آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: مُحَمَّد عبد الهادي أبوريده، دار الكتاب العربي، ط: 04، بيروت، 1697.

-91 – مؤنس حسين، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، دط، الإسكندرية، د س ط، ص 106.

-92 – مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، ط 02، القاهرة، 1938م.

-93 – ناجي عبد الجبار، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط 01، بيروت، لبنان، 2001.

-94 – وزيري يحي، العمارة الإسلامية والبيئة، المجلس الوطني للثقافة والفنون (سلسلة عالم المعرفة)، د ط، الكويت، 1425هـ-2004م.

ثالثا : الأطروحات والرسائل

-95 - الطويل الطاهر، التطور التاريخي للمدينة بالمغرب الأوسط من النصف الثاني من القرن الأول الهجري إلى القرن الخامس هجري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1428-1429هـ/ 2007-2008م، ص 22.

-96 - بالمداني نوال، المدينة بالمغرب الأوسط من خلال المصادر الأدبية خلال القرن 3-4هـ، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة وهران، 2005-2006م.

-97 - بلغيث مُحَّد الامين، الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصر المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 1406-1407هـ/1986-1987م.

-98 - بوتشيش أمينة، بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع الهجريين، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، 1428-1429هـ/2007-2008م.

-99 - بوراس يحي، العمارة الدفاعية في منطقة مزاب (نموذج قصر بني يزقن)(من القرن 10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م)دراسة وصفية تحليلية مقارنة، بحث لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، قسم علم الآثار، إشراف أد علي حملأوي، وأد مُحَّد الطيب عقاب، جامعة الجزائر، الجزائر، 2001-2002.

-100 - حساين عبد الكريم، حركة التأليف التاريخي بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني 633-962هـ/ 1235-1554م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2017-2018.

-101 - شريخي نبيل، دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والإجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14 و15م، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر، 2009-2010.

-102 - مجدوب سهام، جمالية الفن الإسلامي في واجهات المدارس الزيانية والمرينية ببلاد المغربين الأوسط والأقصى 633هـ-962هـ/ 1235م-1554م، دراسة تاريخية فنية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر2، 2010-2011م.

-103 - مطهري فطيمة، مدينة تيهرت الرستمية دراسة تاريخية حضارية (ق2-3هـ/8-9م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير، تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1430-1431هـ/2009-2010م.

-104 - موسأوي عربية، الحمامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني، رسالة ماجستير في علم الآثار، جامعة الجزائر، 1990م-1991م.

- رابعا : المجلات والدوريات

-105 - أبيش يوسف، الحفاظ على المدينة التاريخية، مجلة رسالة اليونسكو، العدد: 199، فبراير، 1978.

-106 - لقبال موسى، طبنة في مجال العلاقة بين زناتة والفاطميين حتى نهاية عهد المنصور الفاطمي، حوليات جامعة الجزائر، دط، الجزائر، 1991-1992.

-107 - مصطفى خالد مُحَّد، جوانب مجهو لة من فقه العمران في الحضارة الإسلامية، مجلة العمران والتقنيات الحضرية، العدد الأول، الجزائر، جامعة المسيلة، 2007.

-108 - معتصم مُحَّد، المدينة الإسلامية وخصاصها، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الإجتماعية، جامعة قطر، العدد 02، 1400هـ- 1980م.

-109 - ناجي عبد الجبار، مفهوم العرب للمدينة الإسلامية، مجلة المدن العربية، نشر المنظمة العربية للمدن، العدد: 14، 1984.

-110 - يوسف شريف، المدن الإسلامية كيف كان تخطيطها وبناؤها، مجلة العربي، العدد 190، الكويت، سبتمبر 1974.

- خامسا : المؤتمرات

-111 - سيد عباس علي، أثر البعد الديني على تخطيط المدن والعمارة العربية الإسلامية، مؤتمر الأزهر الهندسي الدولي التاسع، 2008.

- سادسا : المراجع باللغة الأجنبية

-112 - DE BEYLIE, KALAA DE BENI HAMMEAD, PARIS, 1909.

-113 - Letourneau, (Roger), Les villes musulmanes de L'Afrique du nord, La Maison des Livres, Alger,1957.

-114 - Marçais Georges, Recherche d'archéologie musulmane (Achir), Revue Africaine,1922.

-115 - Masqueray (E), Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie (Kabyles du djurdjura, Chaouia de L'aurés, Béni M'zab), thése Lettres,Leroux, Paris, 1886.

-116 - Mercier (M), La civilization Urbaine au M'zab, Soubiron, Alger, 2e édit: 1932.

-117 - Ravereau (A), Le M'zab une Leçon d'architecture, Sindbad, 2e édit 1981.

الملخص

ملخص:

يتناول موضوع المذكرة مسألة جد هامة في تاريخ الحواضر والمدن، إذ أنه يسلط الضوء على أثر الإسلام على المدينة بالمغرب الأوسط، حيث ترك الإسلام أثرا كبيرا على تشكلة المدينة بالمغرب الأوسط في العديد من الجوانب، وجعل المدينة به، تتميز عن غيرها من المدن والحواضر بمجموعة من الخصائص، إذ شكلت نواة تناسقت فيها مجموعة من الجوانب الفنية والمعمارية، وتزينت بمجموعة من القيم النبيلة الإنسانية، وتجسدت في عدة مظاهر عمرانية اختلفت وظائفها ومقاصدها باختلاف التركيبات البشرية المتكونة منها، والأهداف الساعية إلى تحقيقها، وكانت النواة الرئيسية فيها هي الجامع. وبذلك شكلت المدينة بالمغرب الأوسط، بنية حضارية اجتماعية تكاملت فيما بينها، من حيث تقديم الخدمات والوظائف سواء فيما بينها، أو فيما خلفته بعدها، كتراث مادى ولامادي، بحكم قواعد البقاء والفناء، وهو ما يندرج ضمن سنة الحياة.

مرت المدينة الإسلامية بمراحل تطورت من خلالها، عبر الفضاء الجغرافي لبلاد المغرب عامة، والمغرب الأوسط خاصة، فخلقت لنا فسيفساء معمارية تعددت مظاهرها، كانت بدايتها من القاعدة الأولى وهي مدينة القيروان، ثم بعد ذلك الحواضر والمدن التي اختطت في كل من الدول التي عرفتها المنطقة، من دولة الأغالبة إلى بنو رستم بتيهرت، وبنوزيري بالقلعة، وبنو حماد ببجاية، إلى بنوزيان بتلمسان.

لقد ثمنت هاته الحواضر، الأسس والقواعد الأساسية التي تمت مراعاتها في اختطاط أول مدينة بالإسلام. والإعتبارات الأمنية الإستراتيجية التي أملتها الظروف المحيطة بهاته الدول وحواضرها، دون إهمال عامل التواصل مع الحواضر الأخرى، ودور الرحلات العلمية في إضفاء مسحة فنية حضارية معمارية على المنطقة، خلقت لنا حواضر ميزت بلاد المغرب الأوسط عن غيرها من الحواضر، سواء من خلال هندسة معالمها المعمارية، أو وظائفها الاقتصادية والإجتماعية تجاه ساكنيها (من تكافل، وتسامح، واحترام بين ساكنيها)، وتركت لنا معالم لعمارتها، تنوعت بين المعالم الدينية منها، والحربية والمدنية، كل منها تحاكي الزمن، وترمز لبصمتها الحضارية المتميزة، وهو ما يعتبر إضافة إلى تاريخ العمارة الإسلامية عامة.

Abstract :

This dissertation's topic deals with an important issue concerning the history of metropolises and cities, it sheds light on the impact of Islam on the cities in the Central Maghreb, where Islam left a great impact on the formation of the city in the Middle Maghreb in many aspects distinguish one from another. This last formed a nucleus in which a set of artistic and architectural aspects were harmonious, as it was adorned with a set of noble human values embodied in several urban aspects, whose functions and purposes varied according to different human structures, Its main core was the mosque. Thus, the city in the Central Maghreb formed a civilized social structure integrated with each other, in terms of providing services and jobs, as a material or immaterial heritage by virtue of the rules of survival and annihilation which falls within life norms.

The Islamic cities went throughout stages developed via the geographical space of the Maghreb countries generally and the Central Maghreb particularly, which created an architectural mosaic along with a multiple appearance. Kairouan city was its first foundation in the region, then other metropolises followed across the countries; from Aghaliba state to Banu Rustam in Tehrt, Banu Ziri in the castle, and Banu Hammad in Bejaia to Banu Zayan in Tlemcen.

These cities have valued the basic foundations and rules that were taken into consideration to plan the first city in Islam. In addition to there were strategic security considerations besides the circumstances surrounding these countries and its metropolises without neglecting the factor of communication with one another. Besides, the scientific trips role impart an architectural civilized artistic touch on the region resulted metropolises that featured counties of the Middle Maghreb differentiate them from other cities, through the engineering of its architectural features, or its economic and social functions towards its residents (in terms of solidarity, tolerance, and respect among its residents). It offered a legacy of landmarks and architecture varied between religious, military and civil landmarks, each of which

simulates time and symbolizes its distinctive civilization, which is to be considered as an addition to the Islamic establishment history in general.

الفهرس

الفـــــهـرس

العنـاوين	الصفحات
الإهـداء	
كلمة شكر وعرفان	
قائمة المختصرات	
مقدمة	11 - 1
فصل تمهيدي: التعريف بالمدينة الإسلامية.	37 - 12
أولا: العمارة الإسلامية في المدينة: (تعريفها،خصائصها ومقاصدها).	23 - 14
- 01 – التعريف بالمدينة الإسلامية:	114
- 02 – خصائص المدينة الإسلامية:	19-15
- 03 – مقاصد المدينة الإسلامية.	23 - 20
ثانيا: إنتشار الإسلام بالمغرب الأوسط.	27 - 24
- 01 – المرحلة الأولى: (الحملات الإستطلاعية)	24
- 02 – المرحلة الثانية: (الفتح المنظم)	27 - 25
ثالثا: إختطاط المدن والعوامل المتحكمة فيه.	37 - 28
- 01 – اختطاط المدن وكيفيته.	31 - 28
- 02 – العوامل المتحكمة في اختطاط المدن.	37 - 31
الفصل الأول: مراحل تطور المدينة الإسلامية بالمغرب الأوسط.	57 - 38
أولا: في عهد الفاتحين الأوائل.	41 -40
ثانيا: في عهد الدولة الرستمية.	45 - 41
ثالثا: في عهد الدولة الحمادية.	51 - 45
رابعا: في عهد الدولة الزيانية.	57 - 51
الفصل الثاني: أثر الإسلام على الجانب الإجتماعي والثقافي والإقتصادي بالمدينة بالمغرب الأوسط.	63 - 58
أولا: أثره على الجانب الإجتماعي.	60-59

ثانيا: أثره على الجانب الثقافي.	61 - 60
ثالثا: أثره على الجانب الإقتصادي.	63-61
الفصل الثالث: أثر الإسلام على الجانب المعماري بالمدينة في المغرب الأوسط.	93 - 64
أولا: تخطيط المدن الإسلامية.	69 - 66
ثانيا: أنواع المدن الإسلامية، وأبرز مظاهرها المعمارية.	86 - 70
- 01 – أنـواع المـدن الإسـلامية	71 - 70
- 02 – أبرز مـظـاهرها المعمـارية	86 - 71
- أ – المنشـآت الـدينيـة	76 - 71
- ب – المنشـآت العسكريـة	81 - 76
- ج – المنشـآت المـدنيــة	86 - 81
ثالثا: خصائص المدن الإسلامية.	93 - 87
خـاتمـة	97 - 94
المـلاحق	101 -98
قـائـمـة المصـادر والمراجع	112 -102
الملخص بالعربية	114-113
الملخص باللغة الإنجليزية	116-115
فهرس المحتويات العام	119 -117